التوحيد

تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية — العدد ٥٣٥ السنة الخامسة والأربعون، رجب ١٤٣٧ هـ — الثمن جنيهان

عقيدة أنصار السنة المحمدية

التوحيد قضية أمة

الإعلام بين الإصلاح والإفساد

عمومية أنصار السنة.. وتجديد الثقة بالمجلس

التكفير وخطره عند الشيعة الرافضة

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

صاحبة الامتياز
جماعة أنصار السنة المحمدية

المشرف العام
د. عبد العظيم بدوي

اللجنة العلمية
جمال عبد الرحمن
معاوية محمد هيكل
د.مرزوق محمد مرزوق

التحرير
٨ شارع قولة عابدين ـ القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ ـ فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM
رئيس التحرير:
GSHATEM@HOTMAIL.COM

قسم التوزيع والاشتراكات
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧
ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

المركز العام:
هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦-٢٣٩١٥٤٥٦
WWW.ANSARALSONNA.COM

تنويه

إلى الإخوة مشتركي مجلة التوحيد بمصر: برجاء مراجعة مكتب البريد التابع لكم. والاتصال بقسم الاشتراكات في حالة عدم وصول المجلة، والإبلاغ عن اسم مكتب البريد التابع له المشترك؛ للتواصل مع المسئولين في هيئة البريد، وبحث الشكوى؛ لضمان وصول المجلة للمشترك في موعدها

والله الموفق

رئيس مجلس الإدارة
د.عبد الله شاكر الجنيدي

السلام عليكم

من عجائب العقول!

«لا يحلُّ لمُسلم أن يَهجُرَ أخاهُ فوقَ ثلاث، فمَن هجرَ أخاهُ فوقَ ثلاث فماتَ دخلَ النَّارَ». (صحيح الجامع).

لماذا يصر البعض على تصحيح العقيدة، ويترك من العقيدة، «وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞ» (النساء: ١٢٨)، ولماذا يكافح من أجل تصحيح المنهج ولا يلتزم بمنهج «إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ» (الحجرات:٦).

ولماذا يعتبر أنه خير من أخيه وهو تارك «خياركم أحاسنكم أخلاقا»، «وخيرهما الذي يبدأ بالسلام».

وهناك من يجرح في أهل الإسلام وترك أهل الزور والبهتان، ولم ينظر مرة حوله، ولم يسأل مرة نفسه: لماذا لم يظهر له القبول بين الناس في الأرض؟ الذي هو علامة رضا الله عنه وعما يصنع!.

التحرير

مفاجأة كبرى

نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحتوي على ٤٤ مجلداً
من مجلدات مجلة التوحيد عن ٤٤ سنة كاملة

رئيس التحرير:

جمال سعد حاتم

في هذا العدد

افتتاحية العدد:

التكفير وخطره عند الشيعة الرافضة: الرئيس العام ٢

عقيدة أنصار السنة المحمدية: الشيخ صفوت الشوادفي، رحمه الله ٦

باب التفسير: سورة الجاثية: د. عبد العظيم بدوي ١٠

الإعلام بين الإصلاح والإفساد: جمال عبد الرحمن ١٤

باب السنة: التوحيد قضية أمة: د. مرزوق محمد مرزوق ١٧

درر البحار: علي حشيش ٢١

منبر الحرمين: التعايش والوفاق في المجتمع المسلم:

د. صالح بن حميد ٢٣

العقيقة آداب وأحكام: محمد عبد العزيز ٢٧

باب الفتاوى ٣٠

باب الفقه: حكم الصلاة على النبي في الصلاة: د. حمدي طه ٣٢

واحة التوحيد: علاء خضر ٣٦

دراسات شرعية: المسح على الجوربين: متولي البراجيلي ٣٨

منزلة الأم في الإسلام: د. عماد عيسى ٤٢

باب العقيدة:

التوحيد عند أهل السنة والجماعة: الرئيس العام ٤٦

مسألة علو الله واستواؤه على عرشه عند المتكلمين وأهل

الحديث: د. جمال عبد الناصر ٥٠

تحذير الداعية من القصص الواهية: علي حشيش ٥٣

قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله:

د. محمد عبد العليم ٥٧

من معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم:

إعداد: صلاح نجيب الدق ٦٢

التبرير وإلقاء المعاذير: المستشار أحمد السيد إبراهيم ٦٦

البركة والسبيل إليها: أحمد صلاح ٧٠

مدير التحرير الفني:

حسين عطا القراط

سكرتير التحرير:

مصطفى خليل أبو المعاطي

الإخراج الصحفي:

أحمد رجب محمد

محمد محمود فتحي

ثمن النسخة

مصر ٢٠٠ قرش ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا دولاران ، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٤٠ جنيهاً بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد . على مكتب بريد عابدين ، مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون.

٢- في الخارج ٢٥ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة . باسم مجلة التوحيد . أنصار السنة حساب رقم / ١٩١٥٩٠

منفذ البيع الوحيد بمقر مجلة التوحيد الدور السابع

٨٨٠ جنيه ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر

و ٣٠٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن .

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

جماعة أنصار السنة المحمدية

التكفير وخطره عند الشيعة الرافضة

بقلم / الرئيس العام
د/ عبدالله شاكر الجنيدي
www.sonna_banha.com

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمدًا عبد الله ورسوله، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، ومن سلك سبيلهم إلى يوم الدين، وبعد:

فقد تحدثت في مقالات سابقة عن خطورة التكفير وحذرت شباب الأمة منه، وذكرت بعض القواعد المنهجية عند أهل السنة في ذلك تحصينًا للشباب من الوقوع فيه، أو متابعة دعاته والتأثر بهم.

وأرى أن أتكلم في هذا المقال عن التكفير وخطره أيضًا عند الشيعة الرافضة، لوجود أفراد منهم في مجموع الأمة، وللتشابه الغريب بينهم وبين عموم الخوارج، فالخوارج كفَّروا الأمة بلا ضوابط وقواعد، والرافضة كفَّروا سادات المؤمنين من خيار صحابة النبي الأمين صلى الله عليه وسلم كما كفَّروا كل من خالفهم في معتقداتهم الباطلة.

وقد اجتمعوا جميعًا على السيف والقتل والتخريب والتفجير، وأعمالهم اليوم شاهدة عليهم، وحتى لا يظن أحد أنني أفتري عليهم، أو أنسب إليهم ما ليس فيهم، فسأنقل هنا من كلامهم ما يدل على ذلك، إلى جانب ذكر بعض ما قاله أهل السنة فيهم.

معتقد الشيعة في الإمامة:

وأعظم مسألة دفعت الشيعة الرافضة إلى تكفير عموم المسلمين: الإمامة التي اعتبروها ركنًا من أركان الدين، وأن من لم يؤمن بها فليس من المسلمين.

يقول العاملي الملقب عندهم بالشهيد الثاني: «قد عرفت مما تقدم أن التصديق بإمامة الأئمة- عليه السلام- من أصول الايمان عند الطائفة الامامية، كما هو معلوم من مذهبهم ضرورة، وصرح بنقله المحقق الطوسي رحمه الله عنهم، ولا ريب أن الشيء يعدم بعدم أصله الذي هو جزؤه كما نحن فيه، فيلزم الحكم بكفر من لم يتحقق له التصديق المذكور، وان أقر بالشهادتين». (حقائق الإيمان ص١٣١، ١٣٢).

ويلاحظ من كلامه أنه لا يعتبر من نطق بالشهادتين مسلمًا إلا إذا صدق بإمامة الأئمة، وما ذاك إلا لاعتبارها أهم مطالب الدين وأشرف مسائل المسلمين.

يقول ابن المطهر الحلي في مقدمة كتابه منهاج الكرامة: «أما بعد: فهذه رسالة شريفة، ومقالة

لطيفة، اشتملت على أهم المطالب في أحكام الدين، وأشرف مسائل المسلمين، وهي مسألة الإمامة، التي يحصل بسبب إدراكها نيل درجة الكرامة، وهي أحد أركان الإيمان المستحق بسبب الخلود في الجنان، والتخلص من غضب الرحمن». (نقله عنه ابن تيمية في منهاج السنة ١/٧٣).

ويرون أن الإمامة كالنبوة يختار الله لها من يشاء من عباده ويؤيده بالمعجزة كالنبي، يقول أحد أئمتهم محمد حسين آل كاشف: «إن الإمامة منصب إلهي كالنبوة، فكما أن الله سبحانه يختار من يشاء من عباده للنبوة والرسالة، ويؤيده بالمعجزة التي هي كنص من الله عليه... فكذلك يختار للإمامة من يشاء ويأمر نبيه بالنص عليه، وأن ينصبه للناس إمامًا من بعده». (أصل الشيعة وأصولها ص٥٨).

فالإمامة عندهم لا تكون إلا بالنص، وذهبوا إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم نصَّ على خلافة علي وأولاده من بعده، وقد عقد الكليني- أحد أئمتهم- بابًا قال فيه: «باب ما نص الله ورسوله على الأئمة»، ثم ذكرهم. (انظر أصول الكافي ١/٢٨٦).

ولم يقف الرافضة في الإمامة عند هذا الحد، بل جعلوها أعظم أركان الإسلام، وقد روى الكليني بإسناده عن أبي جعفر قال: «بُني الإسلام على الصلاة والزكاة والصوم، والحج، والولاية، ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية». (الكافي ٢/١٥).

ولعلك تلاحظ- أيها القارئ الكريم- أنهم أسقطوا الشهادتين من أركان الإسلام، ووضعوا مكانهما الولاية، وهما أعظم أركان الإسلام، وبهما بدأ النبي صلى الله عليه وسلم حديثه في تعريف الإسلام، وقد ترتب على نظرة الإمامة عند الشيعة تكفير غيرهم ممن لم يؤمن بأصولهم، وهذه نتيجة حتمية لمذهبهم الفاسد.

حقد الروافض على الشيخين أبي بكر وعمر:

وقد بدؤوا بتكفير أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، ظنًا منهم أنهم سلبوا الإمامة من علي رضي الله عنه، ولذلك يخصونهم بالنصيب الأوفى من اللعن والسب والتكفير، وكتبهم ورواياتهم طافحة بذلك، فهذا شيخهم المجلسي يعقد بابًا بعنوان: «باب كفر الثلاثة ونفاقهم وفضائحهم». (بحار الأنوار ٨/٢٠٨).

وشيخهم المعاصر أبو علي الأصفهاني يذكر ذلك، ويؤكد عدم إيمان أبي بكر وعمر، وقد عقد بابًا في كتابه فرحة الزهراء عنون له بقوله: «عدم إيمان أبي بكر وعمر». ثم يقول: «وأما مسألة كفرهما فهو من الأمور المسلّمة المتضافرة في الروايات الكثيرة التي نذكر بعضًا منها تبركًا وتيمنًا». (انظر: كتابه ص٣٣).

فهو يعتقد أن اليمن والبركة تتحققان بذكر روايات باطلة عندهم في تكفير الشيخين- رضي الله عنهما-!!

وهم يقترفون الكذب ولا يستحون في ذلك، ومن هذا مثلاً ما ينسبونه إلى محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: إن أباه في النار، وقد روى ذلك الكشي في كتابه المعروف: برجال الكشي ص٦٠.

ولهم كلام حول هذا في عمر وعثمان رضي الله عنهما، كما لهم أعمال منكرة تنبئ عن حقدهم على الخلفاء الثلاثة وزراء رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعده، وقد مات وهو راض عنهم، وعن سائر أصحابه صلى الله عليه وسلم، ومن ذلك ما يفعلونه في يوم عاشوراء من صناعة ثلاثة تماثيل، ويملئون بطونها بالعسل، ويسمون الأول منهم بأبي بكر، والثاني بعمر، والثالث بعثمان، ثم يبقرون بطونهم بسكين، فيسيل منها العسل، فيصفقون فرحًا بأخذ الثأر لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه. (انظر تبرير الظلام وتنبيه النيام لإبراهيم الجبهان ص٢٧).

ولا ينتهي حقدهم على الشيخين عند هذا الحد، بل صرحوا بأن المهدي المزعوم عندهم عندما يخرج سيأتي إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وينبش قبري أبي بكر وعمر ويخرجهما، ثم يصلبهما.

وقد ذكر ذلك الحسن بن سليمان الحلي عن المجلسي أنه قال في بحار الأنوار: «قال المفضل: يا سيدي، ثم يسير المهدي إلى أين؟ قال إلى مدينة جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا وردها كان له فيها مقام عجيب، يظهر فيه سرور للمؤمنين وخزي للكافرين، قال المفضل: يا سيدي، ما هو ذاك؟ قال: يرد إلى قبر جده صلى الله عليه وسلم، فيقول: يا معشر الخلائق، هذا قبر جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيقولون، نعم، يا

مهدي آل محمد، فيقول: ومن معه في القبر؟ فيقولون: صاحباه وضجيعاه أبو بكر وعمر، فيؤخر إخراجهما ثلاثة أيام، ثم ينتشر الخبر في الناس، ويحضر المهدي ويكشف الجدران عن القبر، ويقول للنقباء: ابحثوا عنهما، وانبشوهما، فيبحثون بأيديهم، حتى يصلوا إليهما، فيخرجان غضين طريين كصورتهما، فيكشف عنهما أكفانهما، ويأمر برفعهما على درجة يابسة نخرة، فيصلبهما عليها». (انظر: مختصر بصائر الدرجات ص١٨٦).

أقول معقبًا على ذلك: هل هذه الأفعال يمكن أن تصدر من محبٍ لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ألم يكن أبو بكر هو الخليفة الأول لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد بايعه الصحابة على ذلك؟ ثم كان عمر هو الخليفة الثاني بإجماع الصحابة عليه، ثم إن عائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر كانتا من زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهل يمكن أن يتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعدائه؟ سبحانك هذا بهتان عظيم!! وهو في الحقيقة طعن على دين الإسلام في الجملة، وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

تكفير الشيعة للصحابة:

ولم يقتصر لعنهم وتكفيرهم على الخلفاء الثلاثة فحسب، بل تعدى ذلك إلى سائر الصحابة، ولم يسلم منهم إلا النزر اليسير، وقد نصوا في رواياتهم على فضلاء الصحابة، ومن ذلك ما ذكره القمي في تفسيره عن الصادق قال: «لما أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غديرخم، كان بحذائه سبعة نفر من المنافقين وهم: أبو بكر، وعمر، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وأبو عبيدة، وسالم مولى أبي حذيفة، والمغيرة بن شعبة- قال الثاني يعني عمر-: أما ترون عينه كأنما عين مجنون، يعني النبي، الساعة يقوم ويقول: قال لي ربي، فلما قام قال: أيها الناس، من أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: الله ورسوله، قال: اللهم فاشهد، ثم قال: ألا من كنت مولاه فعلي مولاه، وسلموا عليه بإمرة أمير المؤمنين، فنزل جبرائيل وأعلم رسول الله بمقالة القوم فدعاهم وسألهم فأنكروا وحلفوا فأنزل الله: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ﴾ (التوبة:٧٤). (انظر: تفسير القمي ج٣٠١/١).

وهذا تكفير منهم صريح وطعن على خيار الناس بعد الأنبياء- صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين-، وهم يتقربون إلى الله تعالى بعد كل صلاة بلعن الخلفاء الثلاثة وغيرهم من فضلاء الصحابة وبعض أمهات المؤمنين، وقد عقد العاملي بابًا بعنوان: «باب استحباب لعن أعداء الدين عقيب الصلاة بأسمائهم»، وذكر فيه ما روى الكليني عن ابن ثور والسراج قال: «سمعنا أبا عبد الله رضي الله عنه وهو يلعن في دبر كل مكتوبة أربعة من الرجال، وأربعًا من النساء، فلانًا وفلانًا وفلانًا- يعني الخلفاء الثلاثة- ويسميهم ومعاوية، وفلانة وفلانة- عائشة وحفصة- رضي الله عنهما، وهند وأم الحكم أخت معاوية». (فروع الكافي ٩٥/١).

سب الشيعة ولعنهم لأهل السنة:

وهذا الموقف منهم ليس مقصورًا على الخلفاء وسائر الصحابة فحسب، بل تجاوزهم إلى عموم الأمة والأئمة من أهل السنة، وانظر مثلاً ما ذكره نعمة الله الجزائري عن كل من الشاه عباس وجده إسماعيل الصفوي تجاه قبر الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى، وماذا فعلا في قبر هذا الإمام العلم صاحب المذهب المعروف، وفي ذلك يقول: «إن السلطان الأعظم شاه عباس الأول لما فتح بغداد أمر بأن يجعل قبر أبي حنيفة كنيفًا، وقد أوقف وقفًا شرعيًا، فوقف بغلتين وأمر بربطهما على رأس السوق حتى إن كل من يريد الغائط يركبهما، ويمضي إلى قبر أبي حنيفة لقضاء الحاجة». (انظر الأنوار النعمانية ٣٢٤/٢).

وليس هذا بغريب عليهم، لأنهم يعتبرون سب ولعن أهل السنة من أفضل الطاعات، بل وصفوهم بالكفر والشرك، وفي هذا يقول محمد حسن النجفي: «وعلى كل حال فالظاهر إلحاق المخالفين بالمشركين في ذلك لاتحاد الكفر والإيمان فيهم، بل لعل هجاءهم على رؤوس الأشهاد من أفضل عبادة العباد ما لم تمنع التقية، وأولى من ذلك غيبتهم التي جرت سيرة الشيعة عليها في جميع الأعصار والأمصار علمائهم وعوامهم، حتى ملؤا القراطيس منها، بل هي عندهم من أفضل الطاعات». (جواهر الكلام ٦٢/٢٢).

وقد صرح بعضهم بأن سائر المسلمين من غيرهم ليسوا إخوانًا لهم وأنه تجوز غيبتهم، وفي هذا يقول أبو القاسم الخوئي في قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحجرات:١٢): «إن المستفاد من الآية والروايات هو تحريم غيبة المؤمن، ومن البديهي أنه لا أخوة ولا عصمة بيننا وبين

المخالفين». (مصباح الفقاهة ص٣٢٤).

ثم هم بعد ذلك يرون بطلان عبادات أهل السنة ولا يثابون على أعمالهم لعدم إقرارهم بجميع أئمتهم، ويذكر المجلسي أن أئمة الشيعة مجمعون على ذلك، فيقول: «واعلم أن الإمامية أجمعوا على اشتراط صحة الأعمال وقبولها بالإيمان الذي من جملته الإقرار بولاية جميع الأئمة عليهم السلام وإمامتهم». (بحار الأنوار ١٧/ ١٦٦).

حقد الشيعة على بلاد الحرمين:

وبناءً على معتقدهم في الإمامة فقد حكموا على كثير من البلاد بالكفر، وخصوا في ذلك أشرف البقاع، ووسموا أهلها بالكفر الصريح، وقد جاء في أصول الكافي ما يلي: «أهل الشام شر من الروم- يعني شر من النصارى-، وأهل المدينة شر من أهل مكة، وأهل مكة يكفرون بالله جهرة». (أصول الكافي ٢/ ٤٩).

وفيه أيضا: «إن أهل مكة ليكفرون بالله جهرة، وإن أهل المدينة أخبث من أهل مكة، أخبث منهم سبعين ضعفا». (المرجع السابق ٢/ ٤١٠).

وحقدهم اليوم على بلاد الحرمين أشد، وما ذاك إلا لانتشار التوحيد فيها، ورفعهم لراية السنة النبوية وتعظيمهم للوحيين، ولذلك فهم يرغبون في القضاء عليها ونقل ثورتهم إليها، وقد صرح بذلك الدكتور محمد مهدي صادق في احتفال رسمي أقيم في عبادان في ١٩٧٩/٣/١٧م تأييدًا للثورة الإيرانية، وقد ذكر فيه أن ثورتهم ستنتقل إلى القدس وإلى مكة المكرمة، وإلى أفغانستان، وإلى مختلف البلاد، ثم قال: «أصرح يا إخواني المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أن مكة المكرمة حرم الله الأمن يحتلها شرذمة من اليهود». (انظر أصول مذهب الشيعة ٣/ ١٤١٦).

فتأمل أيها القارئ اللبيب كيف ينظرون إلى بلاد المسلمين وحكوماتهم اليوم؟ فهم لا يرون حكومة صحيحة إلا حكومتهم، حتى عهد النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين، يقول أحمد الفهري: «إن الخميني أسس الجمهورية الإسلامية العظمى في إيران لأول مرة في تاريخ الإسلام، وحقق حلم الأنبياء والرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم، والأئمة المعصومين عليهم السلام». (انظر تقديمه لكتاب سر الصلاة للخميني ص١٠).

وذهب أحد أئمتهم إلى أن حكومة الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه لا تصل إلى مقام دولتهم، وفي ذلك يقول: «إننا نعتقد أن الجمهورية الإسلامية هي المؤهلة للحياة في هذا الزمان، ولم تكن مؤهلة للحياة في فجر الإسلام». (انظر: أصول مذهب الشيعة ٣/ ١٤١٢).

وهذه الأقوال التي ذكرتها عن المعاصرين منهم تدل على أن تكفير الشيعة لمخالفيهم ليس مقصورًا على المتقدمين منهم فحسب، بل هم على مدار تاريخهم يلعنون المسلمين من أهل السنة ويسبونهم ويكفرونهم.

وقد وقفت على نص للإمام الشوكاني (ت١٢٥٠هـ) يذكر فيه عن رجل اسمه (إسماعيل بن عز الدين النعمي) أنه كان رافضياً جلدًا وكان جاهلاً يسعى إلى تفريق كلمة المسلمين، وكان يقول: إن أكابر العلماء وأعيانهم ناصبة- يعني يبغضون عليًا رضي الله- كما ذكر عن رجل آخر اسمه (ضرغام)، كان يطلع على بعض كتب الرافضة، وصار يجلس في المسجد ويملي سب الصحابة على من هو أجهل منه. (انظر: البدر الطالع ٢/ ٣٤٧).

ومحمد باقر الصدر (ت١٩٨٢م) يصف الصديق رضي الله عنه بالخوف والجبن، وأنه كان يشتري ذمم الصحابة بالمال لتثبيت خلافته، وأن خلافته لم تباركها السماء، ولا رضي بها المسلمون. (انظر: كتاب فدك في التاريخ ص١٢٥-١٣٨).

والخميني مؤسس دولتهم المعاصرة يطعن طعنًا شديدًا في أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه-. (انظر كتاب كشف الأسرار ص١٧٣).

فرق مهم وجوهري بين الخوارج والروافض:

ويطول ذكر الكلام حول هؤلاء وبيان موقفهم من الصحابة والأئمة والأمة بصورة عامة، ولعلي بهذا أكون قد أبرزت موقف الشيعة من تكفير المخالفين لهم، ومشابهتهم للخوارج في التكفير، غير أنه يوجد فرق مهم وجوهري بين الخوارج والروافض، فالخوارج يُظهرون معتقدهم ولا يتحاشون من الخلق، ولذلك تصدى لهم أهل السنة، بل قاتلوهم على فساد معتقدهم، بخلاف الرافضة الذين يأخذون بمبدأ التقية، ويُظهرون ما لا يضمرون، ولذلك خفي أمرهم على البعض.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يجنبنا شرورهم، وأن ينصر دينه وكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

جمادى الآخرة ١٤١٨هـ

عقيدة أنصار السنة

إعداد/ إعداد: الشيخ صفوت الشوادفي
رحمه الله

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.. وبعد: فهذه عقيدة أنصار السنة المحمدية التي يتمسَّك بها أتباعها، وهي مطابقة- بحمد الله- لعقيدة الفرقة الناجية والطائفة المنصورة، أهل السنة والجماعة.

فنقول وبالله التوفيق:

عقيدتنا الإيمان بالله وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وكذلك الإيمان بكل ما نطق به القرآن، أو جاءت به السُّنة الصحيحة.

ونعتقد أن الله له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، التي وصف بها نفسَه، أو وصفه بها رسولُه- صلى الله عليه وسلم- من غير تكييف ولا تمثيل، ولا تشبيه ولا تعطيل، وأنه- سبحانه- استوى على العرش؛ أي: علا وارتفع- كما فسَّره السلف- بكيفية لا نعلمها.

وأنه- سبحانه- ينزل إلى السماء الدنيا- كما أخبرتْ بذلك السنة الصحيحة- بكيفية لا نعلمها، والله في السماء، وعلمه في كل مكان، كما نؤمن أنه- سبحانه- خلق آدمَ بيده، وأن يديه مبسوطتان ينفق كيف يشاء، كما نثبت له- سبحانه- وجهًا، وسمعًا، وبصرًا، وعلمًا، وقدرة، وقوة، وعزة، وكلامًا، وغير ذلك من صفاته، على الوجه الذي يليق به؛ فإنه- جل شأنه-: «لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ» (الشورى: ١١).

ونحن نثبت لله كلَّ صفة أثبتها لنفسه، كما ننفي عنه- سبحانه- كلَّ صفة نفاها عن نفسه، ونسكت عما سكتتْ عنه النصوص، فإذا قيل: هل لله جسم؟ نقول: هذا مسكوت عنه؛ فلا نثبته ولا ننفيه؛ بل نسكت عنه طاعةً لله.

كما نعتقد أن الله- سبحانه- هو الخالق الملك المدبِّر، فعَّال لما يريد، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، لا يُسأل عما يفعل، وهم يُسألون، ونعتقد أن القرآن كلامُ الله غير مخلوق، وأن الله خالقُ العباد، وخالقُ أفعالهم؛ لقوله- تعالى-: «وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ» (الصافات: ٩٦).

ومن عقيدة أنصار السنة:

الإيمان بأن المؤمنين يرَوْن ربَّهم في الآخرة كما يُرَى القمر في ليلة البدر؛ لقوله- تعالى-: «وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ» (القيامة: ٢٢، ٢٣)، وأما الكفار، فإنهم محرومون من هذه الرؤية؛ لقوله- تعالى-: «كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ» (المطففين: ١٥).

ونعتقد أن الإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

وتعتقد أنصار السنة أن مرتكب الكبائر من المسلمين ليس كافرًا، ما لم يكن مستحلاً لها، أو جاحدًا لحكمها؛ بل هو مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، فإن تاب منها تاب الله عليه، وإن عوقب بها في الدنيا فهي كفارة له، وإن مات من غير توبة ولا حدٍّ، فهو في مشيئة الله: إن شاء عذَّبه، وإن شاء غفر له، وإن عذَّبه في النار مع المعذَّبين، لم يخلِّده فيها مع الخالدين.

ولا نشهد لأحد من المسلمين بالجنة إلا من أخبرتْ به النصوص، ولا نشهد على أحد بالنار إلا من أخبرت به النصوص.

وبيان ذلك أن الأعمال بالخواتيم، والخاتمة لا يعلمها إلا الله، ولكن نرجو للمحسن أن يكون من أهل الجنة، ونخاف على المسيء أن يكون من أهل النار.

كما نعتقد أن عذاب القبر حق، يعذِّب الله فيه من شاء، ويعفو عمن شاء؛ لقوله- تعالى-: « ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ » (غافر: ٤٦)، فأثبت لهم في الدنيا عذابًا بالغدو والعشي، وهو عذاب القبر، ونؤمن بسؤال منكر ونكير، على ما ثبت به الخبر عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- مع قول الله- تعالى-: « يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ » (إبراهيم: ٢٧).

ونؤمن بأن الله- عز وجل- قدَّر لكل مخلوق أجلاً، فإذا جاء أجلُهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون، وإن مات أو قُتل، فذلك انتهاء أجله؛ لقوله- تعالى-: « قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ » (آل عمران: ١٥٤).

ونؤمن بكل ما ثبت من علامات الساعة الصغرى والكبرى، على ما جاءت به النصوص؛ كطلوع الشمس من مغربها، وخروج يأجوج ومأجوج، والدابة، والدجال، ونزول عيسى ابن مريم- عليه السلام- يقتل الخنزير، ويكسر الصليب، وظهور المهدي- رضي الله عنه- واسمه محمد بن عبدالله، يملأ الأرض قسطًا وعدلاً، بعد أن مُلئتْ جورًا وظلمًا، كما ثبت ذلك في نصوص السنة الصحيحة.

كما نعتقد أن الموت حقٌّ، وأن البعث حق، وأن الحشر حق، وأن الصراط والميزان حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث مَن في القبور، وأن الآخرة موازين؛ فمن ثقُلتْ موازينُه فهو من الناجين، وأن الشفاعة ثابتة لرسول الله- صلى الله عليه وسلم- وله شفاعات متعددة، أعظمها: الشفاعة العظمى يوم القيامة لإراحة الناس من عناء الموقف العظيم، وهذه الشفاعة مخصوصة برسول الله- صلى الله عليه وسلم- وله شفاعة أخرى في إخراج بعض مَن دخل النار من الموحِّدين، وأخرى في رفْع درجات المؤمنين في الجنة.

ومع هذا، فإنه لا يجوز للمسلم أن يسأل رسولَ الله- صلى الله عليه وسلم- الشفاعةَ في الدنيا، أو مغفرة ذنوبه، أو يستجير به؛ بل يقول: اللهم ارزقني شفاعة رسولك- صلى الله عليه وسلم- أو نحو هذا.

نحب أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وندعو لهم، ولا نسب أحدًا من الصحابة، ونمسك عما شَجَر بين الصحابة من الاختلاف والتنازع، ونعتقد أن ما نُسب إليهم في ذلك بعضه كذب، وبعضه فيه زيادة ونقصان، وبعضه صحيح.

تعتقد أنصار السنة المحمدية أن كل مؤمن تقي فهو لله ولي، ومع هذا فإن ثبوت الولاية للمؤمن لا يترتب عليه أن نعتقد فيه النفع والضر، أو نتوجه إليه بشيء من العبادات.

ونؤمن أن من مات مشركًا فإنه يخلد في النار قطعًا؛ لقوله- تعالى-: « إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ » (النساء: ٤٨).

والشرك نوعان: أكبر، وأصغر؛ فالأكبر هو الذي يُخرج من الملة، والأصغر كالحلف بغير الله، ويسير الرياء، ونحو ذلك، فمن خلُص من الشركَين وجبتْ له الجنة، ومن مات على الأكبر وجبتْ له النار، ومن خلص من الأكبر، ووقع في بعض الأصغر مع حسنات راجحة على ذنوبه، دخل الجنة، ومن خلص من الأكبر، ولكن كثُر الأصغر حتى رجحتْ به سيئاته، دخل النار، فالشركُ يؤاخذ به العبد إذا كان أكبر، أو كان كثيرًا أصغر، والأصغرُ القليل في جانب الإخلاص الكثير، لا يؤاخذ به.

ونحبُّ أصحاب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وندعو لهم؛ كما قال الله- عز وجل-: « وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ » (الحشر: ١٠).

ولا نسبُّ أحدًا من الصحابة؛ لقوله- صلى الله عليه وسلم-: « لا تسبُّوا أصحابي؛ فوالذي نفسي بيده، لو أن أحدكم أنفق مثل أُحُد ذهبًا، ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه»، ونقرُّ بفضائلهم ومراتبهم كما جاءت في الكتاب والسنة، فنعتقد أن من أنفق من قبل الفتح- وهو صلح الحديبية- وقاتل، أفضلُ ممن أنفق من بعده وقاتل، وأن المهاجرين أفضل من الأنصار، وأن الله قال لأهل بدر- وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر: «اعملوا ما شئتم، فقد غفرتُ لكم»، وبأنه لا يدخل النارَ أحدٌ بايَع تحت الشجرة، كما أخبر بذلك القرآن: «لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ» (الفتح: ١٨)، وأخبر بذلك رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة.

ونقرُّ بما أجمع عليه سلفُ الأمة: أن أفضل هذه الأمة بعد نبيِّها أبو بكر- رضي الله عنه- ثم عمرُ- رضي الله عنه- ثم عثمانُ- رضي الله عنه- ثم عليٌّ- رضي الله عنه- ونحبُّ أهلَ بيت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ونتولَّى أزواجَه أمهاتِ المؤمنين- رضي الله عنهن- ونعتقد أنهن أزواجُه في الجنة.

ونُمسك عما شَجَرَ بين الصحابة من الاختلاف والتنازع، ونعتقد أن ما نُسب إليهم في ذلك بعضُه كذبٌ، وبعضه فيه زيادة ونقصان، وبعضه صحيح، ونحن نشهد لهم بالإخلاص في كل ذلك، ومع ذلك لا نعتقد أن كل واحد منهم معصومٌ من الذنوب، ولهم من الفضائل والحسنات ما يغفر لهم ما قد وقع؛ فهم خير الخلق بعد الأنبياء، لا كان ولا يكون مثلهم، فهم خير القرون، وصفوة الأمَّة، لا يحبهم إلا مؤمنٌ، ولا يبغضهم أو يطعن فيهم إلا منافقٌ أو ضال.

وتعتقد أنصار السنة أن كل مؤمن تقي، فهو لله ولي، وتصدِّق بكرامات الأولياء(١) التي يُجريها الله على أيديهم، كما هو مأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها، وكما هو ثابت عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

ونفرِّق بين الكرامة الإيمانية، والخارقة الشيطانية، التي قد يُظهرها الشيطان على يد أوليائه من المبتدعة والدجالين، فيلبِّسون بها على الناس.

ومع هذا، فإن ثبوت الولاية للمؤمن لا يترتب

عليه أن نعتقد فيه النفعَ والضر، أو نتوجَّه إليه بشيء من العبادات، فإنه من ركع أو سجد لحيٍّ أو ميت، أو نذر لغير الله، أو طاف بقبر نبيٍّ أو ولي، أو استغاث بهم في الشدائد، أو طلب من غير الله ما لا يقدر عليه إلا الله- فإنه يكون بكل فعل من هذه الأفعال مشركًا شركًا أكبر، لا يغفره الله إلا أن يتوب قبل الموت.

وكذلك التوسل بالأنبياء والأولياء لا يجوز؛ فإن التوسل قسمان: مشروع، وممنوع:

أما المشروع، فهو قسمان:

الأول: توسُّل بالإيمان بالله ورسوله، والأعمال الصالحة، كحديث الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى الغار، وهذا مجمع على مشروعيته.

والثاني: توسل بدعائه- صلى الله عليه وسلم- في حياته؛ كما طلب الأعرابي من الرسول- صلى الله عليه وسلم- أن يستسقي لهم، وكما طلبت الجارية السوداء التي كانت تصرع أن يعافيها الله، فخيَّرها بين الصبر والدعاء، وهذا التوسل بدعائه قد انقطع بموته- صلى الله عليه وسلم- كما ثبت ذلك في خلافة عمر- رضي الله عنه- والتوسل بالعباس- رضي الله عنه.

أما التوسل الممنوع:

فهو كل توسلٍ بذوات الأنبياء والأولياء وغيرهم، كما هو معلوم، فلا يجوز لمسلم أن يأتي قبرَ رسول الله ويسأله حاجةً، أو غفرانَ ذنب، أو كشْف ضر.

ونؤمن بوجوب الأمر بالمعروفِ والنهي عن المنكر، وإقامة الحج والجهاد، والجُمَع والأعياد مع الأمراء والحكام، أبرارًا كانوا أم فجَّارًا، ونحافظ على الجماعة، ونبذُل النصيحة، ونسعى إلى إقامة مجتمع الجسد الواحد الذي أمرتْ به السُّنة، وندْعو إلى الصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء، والرضاء بمُرِّ القضاء، وإلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ونعتقد أن جماع الدين: عقيدة صحيحة، وعبادة خالصة، وأخلاق فاضلة.

ولا نجيز الخروجَ في الفتنة، ولا الخروج على الأمراء والحكام، ما لم يصدر منهم كفر بواح، وهو الصريح الذي لا يقبل التأويل، وعندنا من الله فيه برهان، كما هي عقيدة أهل السنة والجماعة.

وتعتقد أنصار السنة أن الله قد أوجب الصلاة على رسوله- صلى الله عليه وسلم- على عباده المؤمنين؛ لقوله- تعالى-: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٥٦).

هذه عقيدة أنصار السنة المحمدية على وجه الاختصار والإجمال، وكل ما ذكرناه مستمدٌ من عقيدة الفرقة الناجية، لا يجوز لأحدٍ من أهل السنة أن يخالفها في قليل أو كثير، فنسأل الله أن يجعلنا من أهل السنة والجماعة، وأن يميتنا على هذه العقيدة الصحيحة.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه.

نؤمن بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الحج والجهاد، والجمع والأعياد مع الأمراء والحكام إبرارًا كانوا أم فجارًا، ونحافظ على الجماعة، ونبذل النصيحة، ونسعى إلى إقامة مجتمع الجسد الواحد الذي أمرت به السنة.

هامش:

(١) أنكر الفلاسفة والمعتزلة وبعض الأشاعرة كراماتِ الأولياء، وعقيدةُ أهل السنة والجماعة بوجودها كما دلت النصوص الشرعية من الكتاب والسنة.

سُورَةُ الجَاثِيَةِ

الحلقة الثانية

قال تعالى: « تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ (٦) وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٧) يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٨) وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (٩) مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠) هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ (١١) اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢) وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » (الجاثية: ٦ - ١٣).

إعداد/ د. عبد العظيم بدوي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

دلائل التوحيد النقلية:

آيَاتُ التَّوْحِيد قسْمَان: آيَاتٌ تَكْوِينِيَّةٌ، وَتُسَمَّى بالْعَقْلِيَّة، وَآيَاتٌ تَنْزِيلِيَّةٌ، وَتُسَمَّى بالنَّقْلِيَّة. فَأَمَّا الآيَاتُ التَّكْوِينِيَّةُ فَقَدَ سَبَقَ الْكَلَامُ فِيهَا، وَأَمَّا الآيَاتُ التَّنْزِيلِيَّةُ فهي آيَاتُ الْقُرْآن الْكَرِيم، وَالذِّكْر الْحَكِيم، كَمَا قَالَ تَعَالَى: « وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ » (البقرة: ٩٩)، وَقَالَ تَعَالَى: « ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ » (آل عمران: ٥٨).

وَقَدْ جَعَلَ الله تَعَالَى الْإِنْسَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا، لِيَسْتَمِعَ إِلَى الآيَاتِ التَّنْزِيلِيَّة وَيَتفَكَّرَ فيهَا، وَيُبْصرَ الآيَاتِ التَّكْوِينِيَّة وَيَتفَكَّرَ فيهَا، فَيَعْلَمَ أَنَّ لِهَذَا الْكَوْنِ إِلَهًا « لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ » (الشورى: ١١).

وَلَكِنَّ الَّذِينَ عَمُوا عَنْ رُؤْيَةِ الآيَاتِ التَّكْوِينِيَّةِ صَمُّوا عَنْ سَمَاعِ الآيَاتِ التَّنْزِيلِيَّةِ، فَقَالَ اللهُ مُهَدِّدَهُمْ:

«تِلْكَ آيَاتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ»:

يَقُولُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ صلى الله عليه وسلم: «تِلْكَ آيَاتُ اللهِ» أَيْ حُجَجُهُ وَبَرَاهِينُهُ الدَّالَّةُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ، «نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ» أَيْ بِالصِّدْقِ الَّذِي لا بَاطِلَ وَلا كَذِبَ فِيهِ (الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ١٥٨))، لأَنَّهَا كَلامُ اللهِ الْحَقِّ فَهِيَ حَقٌّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ» (ص: ٨٤)، وَقَالَ تَعَالَى: «وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ» (الأحزاب: ٤)، وَقَالَ تَعَالَى: «وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ» (سبأ: ٢٣)، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى عَنِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: «وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ» (الإسراء: ١٠٥)، فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهَذِهِ الآيَاتِ -وَهِيَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِ- «فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ»؟! يَعْنِي أَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ لا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ، لأَنَّهُمْ مُصِرُّونَ عَلَى الْكُفْرِ، وَلِذَلِكَ تَوَعَّدَهُمُ اللهُ عَلَى ذَلِكَ الإِصْرَارِ فَقَالَ:

«وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ»:

قال ابْنُ عَطِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ:

الْوَيْلُ فِي كَلامِ الْعَرَبِ: الْمَصَائِبُ، وَالْحُزْنُ، وَالشِّدَّةُ، مِنْ هَذِهِ الْمَعَانِي، وَهِيَ لَفْظَةٌ تُسْتَعْمَلُ فِي الدُّعَاءِ عَلَى الإِنْسَانِ. وَرُوِيَ فِي بَعْضِ الآثَارِ أَنَّ فِي جَهَنَّمَ وَادِيًا اسْمُهُ: وَيْلٌ، وَذَهَبَ الطَّبَرِيُّ إِلَى أَنَّهُ الْمُرَادُ بِالآيَةِ، وَمُقْتَضَى اللُّغَةِ أَنَّهُ الدُّعَاءُ عَلَى أَهْلِ الإِفْكِ وَالإِثْمِ بِالْمَعَانِي الْمُتَقَدِّمَةِ. وَالأَفَّاكُ: الْكَذَّابُ الَّذِي يَقَعُ مِنْهُ الإِفْكُ مِرَارًا. وَالأَثِيمُ: بِنَاءُ مُبَالَغَةٍ، اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ أَثِمَ يَأْثَمُ. (المحرر الوجيز (٥/ ٨١)).

قَالَ الرَّازِيُّ عَفَا اللهُ عَنْهُ:

وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا الأَثِيمَ لَهُ مَقَامَانِ:

الْمَقَامُ الأَوَّلُ: أَنْ يَبْقَى مُصِرًّا عَلَى الإِنْكَارِ وَالاسْتِكْبَارِ، فَقَالَ تَعَالَى: «يَسْمَعُ آيَاتِ اللهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ» أَيْ يُقِيمُ عَلَى كُفْرِهِ إِقَامَةً بِقُوَّةٍ وَشِدَّةٍ «مُسْتَكْبِرًا» عَنِ الإِيمَانِ بِالآيَاتِ مُعْجَبًا بِمَا عِنْدَهُ. «كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا» أَيْ كَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ مَا تُلِيَ عَلَيْهِ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ. قِيلَ نَزَلَتْ فِي النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ، وَمَا كَانَ يَشْتَرِي مِنْ أَحَادِيثِ الأَعَاجِمِ، وَيَشْغَلُ بِهَا النَّاسَ عَنِ اسْتِمَاعِ الْقُرْآنِ، وَالآيَةُ عَامَّةٌ فِي كُلِّ مَنْ كَانَ مَوْصُوفًا بِالصِّفَةِ الْمَذْكُورَةِ. (التفسير الكبير (٢٧/ ٦٧٢)).

وَقَدْ تَوَعَّدَ الرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم الْمُصِرِّينَ بِمَا تَوَعَّدَهُمْ بِهِ رَبُّ الْعَالَمِينَ:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: «ارْحَمُوا تُرْحَمُوا، وَاغْفِرُوا يَغْفِرِ اللهُ لَكُمْ، وَيْلٌ لأَقْمَاعِ الْقَوْلِ، وَيْلٌ لِلْمُصِرِّينَ الَّذِينَ يُصِرُّونَ عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ». (مسند أحمد ٦٥٤١ وصححه الألباني).

فَقَوْلُهُ صلى الله عليه وسلم: «وَيْلٌ لأَقْمَاعِ الْقَوْلِ» يَعْنِي الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْقَوْلَ وَلا يَعْمَلُونَ بِهِ، جَمْعُ قَمَعٍ، شَبَّهَ آذَانَهُمْ وَكَثْرَةَ مَا يَدْخُلُهَا مِنَ الْمَوَاعِظِ، وَهُمْ مُصِرُّونَ عَلَى تَرْكِ الْعَمَلِ بِهَا، بِالأَقْمَاعِ الَّتِي تُفَرَّغُ فِيهَا الأَشْرِبَةُ وَلا يَبْقَى فِيهَا شَيْءٌ مِنْهَا، فَكَأَنَّهُ يَمُرُّ عَلَيْهَا مَجَازًا كَمَا يَمُرُّ الشَّرَابُ فِي الأَقْمَاعِ اجْتِيَازًا. (لسان العرب (٨/ ٢٩٥)).

لِذَلِكَ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ أَنْ يَحْذَرَ هَذِهِ الصِّفَةَ، يَحْذَرُ أَنْ «يَسْمَعُ آيَاتِ اللهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا»:

يَحْذَرُ أَنْ يَسْمَعَ اللهَ يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» (آل عمران: ١٣٠)، ثُمَّ يُصِرُّ عَلَى أَكْلِ الرِّبَا.

يَحْذَرُ أَنْ يَسْمَعَ اللهَ يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» (المائدة: ٩٠)، ثُمَّ يُصِرُّ عَلَى شُرْبِ الْخَمْرِ وَلَعِبِ الْمَيْسِرِ.

يَحْذَرُ أَنْ يَسْمَعَ اللهَ يَقُولُ: «وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا» (الإسراء: ٣٢)، ثُمَّ يُصِرُّ عَلَى الزِّنَا.

يَحْذَرُ أَنْ يَسْمَعَ اللهَ يَقُولُ: «وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ» (الإسراء: ٣٣)، ثُمَّ يُصِرُّ عَلَى قَتْلِ الأَبْرِيَاءِ.

فَالْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنَ الإِصْرَارِ بَعْدَ سَمَاعِ آيَاتِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى وَصَفَ الْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِ: «إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ» (السجدة: ١٥)، وَقَالَ تَعَالَى: «وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا» (الفرقان: ٧٣)، وَقَالَ تَعَالَى: «أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۝ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا

سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (النور: ٥٠- ٥١).

وَأَمَرَ الله تَعَالَى نَبِيَّهُ صلى الله عليه وسلم أَنْ يُبَشِّرَهُمْ فَقَالَ: «فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ» (الزمر: ١٧- ١٨).

وَمِنْ تَمَامِ الْوَعِيدِ لِلأَفَّاكِ الأَثِيمِ قَوْلُ الله تَعَالَى: «فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ»، وَسُمِّيَ إِعْلَامُ الْكَافِرِ بِمَا لَهُ عِنْدَ الله مِنَ الْعَذَابِ بِشَارَةً تَهَكُّمًا بِهِ وَاسْتِهْزَاءً، لأَنَّ الأَصْلَ فِي الْبِشَارَةِ إِعْلَامُ الإِنْسَانِ بِمَا يَسُرُّهُ فَيَفْرَحُ قَلْبُهُ، وَيَظْهَرُ السُّرُورُ عَلَى وَجْهِهِ، وَإِعْلَامُ الْكَافِرِ بِمَا لَهُ عِنْدَ الله مِنَ الْعَذَابِ يُسِيئُهُ وَلَا يَسُرُّهُ، وَلَكِنْ سَمَّاهُ بِشَارَةً تَهَكُّمًا وَاسْتِهْزَاءً.

الْمَقَامُ الثَّانِي: أَنْ يَنْتَقِلَ مِنْ مَقَامِ الإِصْرَارِ وَالاسْتِكْبَارِ إِلَى مَقَامِ الاسْتِهْزَاءِ، فَقَالَ تَعَالَى: «وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا»، وَلَمْ يَقُلْ سُبْحَانَهُ: اتَّخَذَهُ هُزُوًا، لِلإِشْعَارِ بِأَنَّ هَذَا الرَّجُلَ إِذَا أَحَسَّ بِشَيْءٍ مِنَ الْكَلَامِ أَنَّهُ مِنْ جُمْلَةِ الآيَاتِ الَّتِي أَنْزَلَهَا الله تَعَالَى عَلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم خَاضَ فِي الاسْتِهْزَاءِ بِجَمِيعِ الآيَاتِ، وَلَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى الاسْتِهْزَاءِ بِذَلِكَ الْوَاحِدِ. (التفسير الكبير (٢٧/ ٢٦٢)).

«أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ» يُهِينُهُمْ وَيُذِلُّهُمْ وَيُخْزِيهِمْ، جَزَاءَ الأَنَفَةِ وَالاسْتِكْبَارِ وَالْعِزَّةِ الَّتِي مَنَعَتْهُمْ مِنَ الإِيمَانِ بِآيَاتِ الله.

«مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ» أَيْ أَمَامَهُمْ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، «وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا» يَعْنِي لَا تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ مِنَ الله شَيْئًا، وَلَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ فِدَاءً، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ» (المسد: ١- ٢)، وَقَالَ تَعَالَى: «وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ» (الليل: ٨- ١١)، وَقَالَ تَعَالَى: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» (آل عمران: ١١٦)، وَقَالَ تَعَالَى: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ» (آل عمران: ٩١).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ الله أَوْلِيَاءَ» يَعْنِي وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَوْلِيَاؤُهُمُ الَّذِينَ عَبَدُوهُمْ مِنْ دُونِ الله، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ» (الأحقاف: ٥- ٦)، وَقَالَ تَعَالَى: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ» (البقرة: ١٦٥- ١٦٧)، وَقَالَ تَعَالَى: «وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ» (يونس: ٢٨- ٣٠)، وَقَالَ تَعَالَى: «وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ» (القصص: ٦٢- ٦٤).

وَالآيَاتُ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ.

ثُمَّ أَخْبَرَ الله تَعَالَى بِمَا لِهَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ عِنْدَهُ فَقَالَ: «وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ».

فَإِنْ قِيلَ: إِنَّهُ قَالَ قَبْلَ هَذِهِ الآيَةِ: «لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ» فَمَا الْفَائِدَةُ فِي قَوْلِهِ بَعْدَهُ: «وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ»؟

قُلْنَا: كَوْنُ الْعَذَابِ مُهِينًا يَدُلُّ عَلَى حُصُولِ الإِهَانَةِ مَعَ الْعَذَابِ، وَكَوْنُهُ عَظِيمًا يَدُلُّ عَلَى كَوْنِهِ بَالِغًا إِلَى أَقْصَى الْغَايَاتِ فِي كَوْنِهِ ضَرَرًا. (التفسير الكبير (٢٧/ ٢٦٢و٢٦٣)).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «هَذَا هُدًى» أَيْ هَذَا الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ «يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» (المائدة: ١٦)، «وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ» وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِهَا، وَلَمْ يَهْتَدُوا بِهَدْيِهَا «لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ» بِالرَّفْعِ صِفَةُ «عَذَابٌ»، وَقُرِئَ بِالْجَرِّ عَلَى أَنَّهُ صِفَةُ «رِجْزٍ». (إرشاد العقل السليم (٦/ ٥٨)).

فَإِنْ قِيلَ: الرِّجْزُ هُوَ الْعَذَابُ، بِدَلَالَةِ قَوْلِهِ تَعَالَى: «فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ» (الْبَقَرَة: ٥٩)، فَهَلْ فِي الآيَةِ تَكْرَارٌ؟

فَالْجَوَابُ: لَيْسَ فِيهَا تَكْرَارٌ، وَتَوْجِيهُهَا عَلَى قِرَاءَةِ الْجَرِّ: لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ، وَإِذَا كَانَ عَذَابُهُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ كَانَ عَذَابُهُمْ أَلِيمًا.

وَمَنْ رَفَعَ كَانَ الْمَعْنَى: لَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ، فَتَكُونُ «مِنْ» تَبْيِينًا لِلْعَذَابِ. (التفسير الكبير (٢٧/ ٢٦٣)).

من دلائل التوحيد:

ومرة ثانية يذكرهم الله تعالى ببعض آياته الكونية الدالة على وحدانيته وعظيم قدرته، فيقول سبحانه:

«الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون (١٢) وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون»:

يقول تعالى: «الله الذي» لا إله إلا هو، هو الذي «سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره»، فتحملكم إلى حيث شئتم، وتنقل لكم ما شئتم من البضاعة والسلع على اختلاف أجناسها، ولذلك قال: «ولتبتغوا من فضله» أي تبتغوا رزق الله بالبيع والشراء عن طريق السفر ونقل البضائع في البحر. أو تبتغوا من فضله باستخراج الحيتان، واللؤلؤ والمرجان. وهذه آية من آيات وحدانية الله وقدرته، ولذلك قال سبحانه: «وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ (٣٢) إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣٣) أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ (٣٤) وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ» (الشورى: ٣٢- ٣٥)، وقال تعالى: «وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ (٤١) وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ (٤٢) وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ (٤٣) إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ» (يس: ٤١- ٤٤)، وقال تعالى: «ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٧٩) وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (٨٠) وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ» (غافر: ٧٩- ٨١).

فهو- سبحانه- الذي خلق البحر بهذه الخصائص، وخلق مادة الفلك بهذه الخصائص، وجعل خصائص الضغط الجوي، وسرعة الرياح وجاذبية الأرض، وسائر الخصائص الكونية الأخرى مساعدة على أن تجري الفلك في البحر، وهدى الإنسان إلى هذا كله فأمكنه أن ينتفع به، وأن ينتفع كذلك بالبحر في نواح أخرى. (في ظلال القرآن (٧/٣٨٥)).

فهذه آيات من آيات التوحيد، ونعم من نعم الرحمن التي أنعم بها على عباده فاستحق الشكر عليها، ولذلك قال: «ولعلكم تشكرون»

ثم قال تعالى: «وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه»:

هذا تعميم بعد تخصيص اقتضاه الاهتمام أولا ثم التعميم ثانيا. وما في السماوات وما في الأرض عام مخصوص بما تحصل للناس فائدة من وجوده: كالشمس للضياء، والمطر للشراب، أو من بعض أحواله: كالكواكب للاهتداء بها في ظلمات البر والبحر، والشجر للاستظلال، والأنعام للركوب والحرث ونحو ذلك. وأما ما في السماوات والأرض مما لا يفيد الناس فغير مراد مثل الملائكة في السماء والأهوية المنحبسة في باطن الأرض التي يأتي منها الزلزال. (التحرير والتنوير (٢٥/٣٣٧)).

فإن قيل ما معنى (منه) في قوله «جميعا منه»؟

قلنا معناه أنها واقعة موقع الحال، والمعنى: أنه سخر هذه الأشياء كائنة منه، وحاصلة من عنده، يعني أنه تعالى مكونها وموجدها بقدرته وحكمته، ثم مسخرها لخلقه. (التفسير الكبير (٢٧/ ٢٦٤)).

يقول تعالى ذكره: جميع ما ذكرت لكم أيها الناس من هذه النعم، نعم عليكم من الله أنعم بها عليكم، وفضل منه تفضل به عليكم، فإياه فاحمدوا لا غيره، لأنه لم يشركه في إنعام هذه النعم عليكم شريك، بل تفرد بإنعامها عليكم وجميعها منه، ومن نعمه فلا تجعلوا له في شكركم له شريكا بل أفردوه بالشكر والعبادة، وأخلصوا له الألوهة، فإنه لا إله لكم سواه. (جامع البيان (٢٥/١٤٣)).

«إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون» أي في ذلك المذكور من تسخير البحر وتسخير ما في السموات والأرض دلائل على تفرد الله بالإلهية، فهي وإن كانت مننا يحق أن يشكرها الناس فإنها أيضا دلائل إذا تفكر فيها المنعم عليهم اهتدوا بها، فحصلت لهم منها ملائمات جسمانية ومعارف نفسانية، وبهذا الاعتبار كانت في عداد الآيات المذكورة قبلها من قوله: «إن في السماوات والأرض لآيات للمؤمنين»، وإنما أخرت عنها لأنها ذكرت في معرض الامتنان بأنها نعم، ثم عقبت بالتنبيه على أنها أيضا دلائل على تفرد الله بالخلق.

وأوثر التفكر بالذكر في آخر صفات المستدلين بالآيات، لأن الفكر هو منبع الإيمان والإيقان والعلم المتقدمة في قوله: «لآيات للمؤمنين»، «آيات لقوم يوقنون»، «آيات لقوم يعقلون». (التحرير والتنوير (٢٥/٣٣٧و٣٣٨)).

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

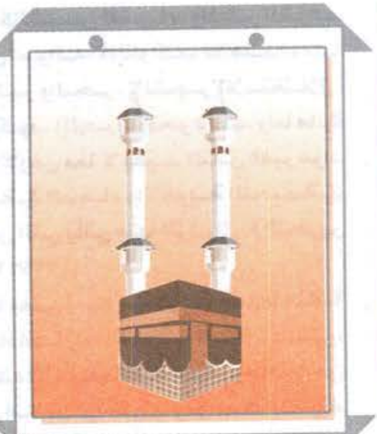

الإعلام بين الإصلاح والإفساد

إعداد/ إعداد: جمال عبد الرحمن

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعدُ:

فإنَّ كلمة الإعلام من العلم؛ إذن فهي تتصرف إلى مشتقات ذلك اللفظ من تعليم وتعلم وغيره، وعليه فإن الإعلام ينبغي ألا ينفك ولا ينفصل من الدعوة إلى ما ينفع الناس في الحال والمآل، بالأسلوب الشيق المهذب، والعبارة الخالصة المخلصة، الهادفة المصلحة.

ولا بد أن يكون محكومًا في أساليبه وغاياته بمبادئ النبل والعفاف، ومراعاة الذوق والحياء والشعور العام لدى الأمة جميعًا.

وقد كان الإسلام خير من أسَّس قواعد الإعلام الصحيح وضوابطه، وأساليبه وغاياته الثابتة التي لا تتغير ولا تتبدل ولا تنحاز، وانما متجردة لخدمة البشرية جميعًا، وليس لفئة دون فئة، وهو وإن تطور في أساليبه ووسائله بتطور الحياة إلا أنه ثابت في أصوله وغاياته المنطلقة من عالمية الإسلام، قال الله تعالى: «تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا» (الفرقان:١)، «وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ» (الأنعام:١٩)، ولذلك قام النبي صلى الله عليه وسلم بإعلام الداني والقاصي، فبعث الرسائل إلى الملوك والرؤساء في أقطار الأرض، فكتب الرسائل وأرسل الرسل إلى كسرى وقيصر والنجاشي، وإلى كل سيد في قومه.

أسس الإعلام الناجح النافع

١- لا بد أن يكون شعار أي إعلام الوضوح والصراحة، والعدل والأمانة، والصدق وعدم المجاملة أو الظلم، وقد أسس لذلك الدين الإسلامي القويم: «وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ» (المائدة:٢)، وقال تعالى: «وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ» (المائدة:٨)، فالعدل أساس البقاء لكل شيء في هذه الدنيا، ومن هنا لا يصلح أن يكون الإعلامي متحيزًا إلى فئة يواليها دون غيرها بحق أو بباطل.

٢- الصدق؛ وقد أسس الإسلام لذلك بكلمتين: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت» متفق عليه.

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «الصدق أمانة، والكذب خيانة»، وقبل ذلك كله قال أحكم الحاكمين: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ

الصَّادِقِينَ » (التوبة:١١٩).

٣- رعاية مصالح الأمة والإصلاح بين طوائفها، قال صلى الله عليه وسلم: «ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس فيقول خيرًا أو ينمي خيرًا». متفق عليه. «فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ» (الأنفال:١).

٤- عدم التفرد بالفتوى بما هو من الشأن العام؛ لذم الإسلام لهذا السلوك، «الرجل التافه يفتي في أمر العامة».

٥- ألا يكون مشيعًا في ذلك للفاحشة: «إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» (النور:١٩).

٦- ألا يكون السبق الإعلامي على حساب أمن الأمة وسلامة بنيانها؛ لأن ذلك من صفات المنافقين، قال الله تعالى: «وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ» (النساء:٨٣).

٧- التثبت من الأخبار قبل إذاعتها ومناقشتها: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ» (الحجرات:٦)، فإن الإشاعات سبب قلق ومصدر إزعاج.

٨- الانفتاح على العالم في إطار الخير ونبل المقصد والهدف: «كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ» (آل عمران:١١٠)، «وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا» (البقرة:٨٣).

٩- ألا تسيطر المهنة ومتطلباتها على الالتزام بالحلال والحرام، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها، إلا ما كان لله منها». (سنن الترمذي، وحسنه الألباني)؛ فما لم يكن لله وابتُغي به رضاه فهو للشياطين والأهواء.

أيها الإعلامي: أنت على خطر عظيم، إن كنت من المسلمين فسينفعك بإذن الله هذا الكلام، وإن لم تكن من المسلمين فالجرح جرحك والمصيبة مصيبتك، فالتزم أدنى مبادئ الشهامة والرجولة المتفق عليها بين البشر.

إن الإعلام ليس فضحًا للناس وتتبعًا لعوراتهم، فإن هذا خُلق المنافقين الخبثاء، وفي صحيح الدين: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتبع عوراتهم تتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته». (صحيح: أخرجه أبو داود).

صورة إعلامية رائعة:

وانظر إلى هذه الصورة الإعلامية والمقصد الذي كان من ورائها، والثمرة الجميلة التي تحققت منها: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشْكُو جَارَهُ. فَقَالَ: اذْهَبْ فَاصْبِرْ، فَأَتَاهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فَقَالَ: اذْهَبْ فَاطْرَحْ مَتَاعَكَ فِي الطَّرِيقِ، فَطَرَحَ مَتَاعَهُ فِي الطَّرِيقِ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ فَيُخْبِرُهُمْ خَبَرَهُ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَلْعَنُونَهُ؛ فَعَلَ اللَّه بِهِ وَفَعَلَ وَفَعَلَ، فَجَاءَ إِلَيْهِ جَارُهُ فَقَالَ لَهُ: ارْجِعْ لَا تَرَى مِنِّي شَيْئًا تَكْرَهُهُ. (صحيح سنن أبي داود: ٥١٥٣).

فهذا الرجل اشتكى ما يتعرض له من أذى ومنكر، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم بالصبر، مرتين، فلما لم ينزجر المؤذي، أمر النبي صلى الله عليه وسلم المشتكي أن يعرض القضية على الرأي العام، فاستنكر الناس ما رأوه، وأخذوا يلعنون ذلك المؤذي، فلما أحس بلعنة الناس وهياج الرأي العام عليه، رجع يعتذر للنبي صلى الله عليه وسلم ويتأذى من لعن الناس، فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم أن لعن الله أشد من هذا، فرجع الرجل عن غيه، وطلب من جاره أن يعود إلى منزله ويرجع بمتاعه فلن يؤذيه بعد اليوم.

فانظر إلى منهج الإسلام في الإصلاح بين الناس وتغيير المنكر ومحاربة الفساد.

صورة إعلامية مرفوضة:

وحين يكون الإعلام منكرًا وفي غير محله منعه الشرع الشريف، فعن عطاء بن يسار أن إنسانًا نشد بعيرًا له في المسجد، فسمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «ماذا يقول؟ فقالوا: ينشد بعيرًا له، فقال: لا وجدت بعيرك، إذا سمعتم أحدًا ينشد في المسجد شيئًا فقولوا: لا وجدت متاعك، ولا أدّيت عليك ضالتك». (مسند أبي الجعد).

إن الإعلام حين لا يكون موضوعيًا مراعيًا

الضوابط الخلقية والمصلحة العامة يكون مصدر إزعاج وفتنة وتقليب الأمور وإشاعة الفوضى وترويج الشائعات، وقلب الحقائق، وفي هذا يقول ربنا سبحانه وتعالى: «لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ» (التوبة:٤٨)، ويحذر سبحانه وتعالى من الاستماع والمتابعة لأمثال هؤلاء الذين يُحدث إعلامهم زعزعة لاستقرار الأمة، ويعتب على من يتابعونهم فيقول: «وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ» (التوبة:٤٧).

فاحذر أيها الإعلامي أن يغلب عليك عُرف المهنة كما يدعي بعضهم، فتنسى القيم والمبادئ، وهذا له ضرره عليك وعلى من هم على شاكلتك.

يقول نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم: «إن الرجل ليقول الكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً فيهوي بها في النار سبعين خريفًا، وإن الرجل ليقول الكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً فينال بها أعلى الدرجات». «فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ» (لقمان:٣٣)، «أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ» (التوبة:٣٨)، «مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ» (ق:١٨).

ضوابط متابعة الإعلام:

لقد وصف القرآن الكريم الذين يشيعون الشائعات وخاصة التي تتناول البلاد وأمنها بأنها «وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ» (النساء:٨٣) أي: سارعوا في نشره دون تحر ولا توثيق، فعلى من يستمع لمثل هذه الأراجيف ألا يذيعها ولا يشيعها حتى يردها إلى من وُسِّدت إليهم الأمور، فهم أعلم بها على الإجمال وبتحليلها في الحال، قال الله تعالى: «وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا» (النساء:٨٣).

وإن الله تعالى قد نقم على المرجفين في المدينة بقوله جل وعلا: «لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا» (الأحزاب:٦٠، ٦١).

وإن الذين يتصدون لتجريح المسلمين وغيبتهم وتتبع عوراتهم وزلاتهم ونشرها على العالمين لعلى خطر عظيم.

والسؤال: أهذا هو شمولية الدعوة إلى الله؟ أن يكون الدين كله مجرد نقد وتجريح وصد عن دعاة هذا الدين؟! يدَعُون أهل العصيان والبهتان، ويمزقون في أهل الدعوة إلى الإسلام؟!

هل سمعنا في تراث أهل الإسلام أن دعوة الإسلام تقوم على لعن الأصحاب وسبهم وشتمهم والنيل من أعراضهم؟! الدين الذي جاء ليكون منهج حياة كاملة في كل جوانبها اختصره هؤلاء في دعوى الدفاع عن المنهج، ولو كان بمخالفة الشرع الشريف في قول سيد البشر عليه الصلاة والسلام: «كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه».

أيها الإعلاميون: قد ناداكم سيد البشر من قبل نداء يرفع عبر التاريخ إلى أن يلقى الناس ربهم، «دعوها فإنها منتنة»، «دعوها فإنها خبيثة»؟!

وإن الواقع ليعج ويضج بالمخالفات والغلطات من جميع طوائف الناس، فلماذا لم تنشط هممكم إلا في إيذاء المسلمين وأهل السنة منهم، وتركتم أهل المنكر يرتعون في منكرهم ويغرقون في معاصيهم، ولم تنطقوا معهم باللوم أدنى كلمة؟ والله إن حرب الله لكم لقريب، ولن يطول اعتداؤكم، والله سبحانه يتوعدكم: «من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب». وسواء في ذلك الولاية الخاصة أو الولاية العامة، واللقاء إن شاء الله على القنطرة التي أعدها الله تعالى للمفلسين حين يلتقي بهم يوم القيامة غرماؤهم، شاكين إلى ربهم، طالبين لحقوقهم، يا رب، هذا سبني، وهذا شتمني، وهذا قذفني، فيؤخذ لهذا من حسناته، وهذا من حسناته حتى إذا فنيت، أخذ من سيئاتهم فطُرح عليه ثم طرح في جهنم.

وقانا الله وإياكم النار، وما قرَّب إليها من قول وعمل، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

باب السنة

التوحيد قضية أمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه وبعد:

فعلى مر السنين والأعوام وجمعية أنصار السنة المحمدية تتبنى قضية التوحيد، وأنها قضية الأمة جميعًا، ومنهجها نحو تبليغ رسالات الله، ولم تلتفت في طريقها نحو ذلك إلى نقد المخالفين الذين تفرقت بهم السبل الأخرى- بدعية أو سياسية مخترعة أو ما شابه ذلك- نحو هذا الهدف، وما هم بمدركيه بغير التوحيد.

إعداد/ د. مرزوق محمد مرزوق

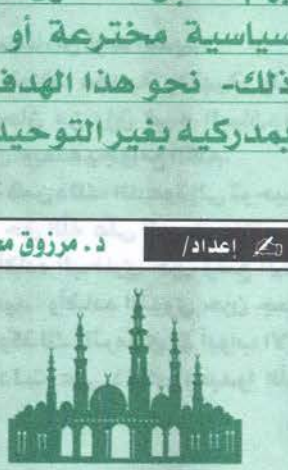

الحديث:

عَنْ مُعاذ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ: «كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ عَلَى حِمَار يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ، فَقَالَ: يَا مُعَاذُ هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللَّه عَلَى عِبَادِه؟ وَمَا حَقُّ الْعِبَاد عَلَى اللَّه؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: فَإِنَّ حَقَّ اللَّه عَلَى الْعِبَاد أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلا يُشْرِكُوا بِه شَيْئًا، وَحَقُّ الْعِبَاد عَلَى اللَّه أَنْ لا يُعَذِّبَ مَنْ لا يُشْرِكُ بِه شَيْئًا. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه أَفَلا أُبَشِّرُ بِه النَّاسَ. قَالَ: لا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا».

ثانيًا: تخريج الحديث:

هذا الحديث الصحيح رواه البخاري في:

١- كتاب التوحيد (باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله عز وجل (٧٣٧٣).

٢- وفي كتاب الاستئذان، باب من أجاب لبيك وسعديك.

٣- وفي كتاب الجهاد والسير (بَابُ اسْمِ الفَرَسِ وَالحِمَارِ) (٢٨٥٦).

- ورواه مسلم رقم (٤٨)، وبوَّب النووي عليه في كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة).

- ورواه الترمذي في أبواب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة (٢٦٤٣).

- ورواه ابن ماجه في كتاب الزهد، باب ما يُرجى من رحمة الله يوم القيامة (٤٢٩٦).

ثالثًا: ترجمة راوي الحديث:

هو الصحابي الجليل معاذ بن جبل بن أوس الأنصاري الخزرجي- رضي الله عنه وأرضاه -، شهد العقبة الثانية، وغزوة بدر وما بعدها، آخى النبي- صلى الله عليه وسلم- بينه وبين عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه-، وكان عمره حين أسلم ثماني عشرة سنة، هو أحد الأربعة الذين قال النبي-صلى الله عليه وسلم- عنهم: «خذوا القرآن عن أربعة»، وهو من قال فيه النبي-صلى الله عليه وسلم-: «.. وأعلمهم بالحلال والحرام

معاذ بن جبل».

فهو من علماء الأنصار وممن كانوا يُفتون على عهد النبي-صلى الله عليه وسلم-، ولذا بعثه النبي-صلى الله عليه وسلم- في آخر حياته إلى اليمن داعيًا ومعلمًا وقاضيًا. وعاد في خلافة أبي بكر، وولاه عمر على الشام بعد أبي عبيدة، ثم مات من عامه في طاعون عمواس سنة ثماني عشرة عن أربع وثلاثين سنة- رضي الله عنه وأرضاه-. (انظر: أسد الغابة ١٩٤/٥، والإصابة ٢١٩/١٠).

ويكفي من مناقب معاذ أن يدخل تحت قول النبي صلى الله عليه وسلم فيمن شهد بدرًا (إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله قد اطلع على من شهد بدرًا فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم). وذلك في حديث قصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه حينما أرسل الظعينة إلى قريش بخبر عزم النبي صلى الله عليه وسلم بالخروج إلى مكة، والقصة مروية في البخاري (١٥٥٧/٤) فلتراجع.

رابعًا: المعنى العام للحديث:

كان معاذ رضي الله عنه يركب خلف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار يسمى عفيرًا، فناداه: يا معاذ بن جبل! أتدري ما حق الله على العباد، وحق العباد على الله؟ فقال معاذ-متأدبًا طالبًا التعلم-: الله ورسوله أعلم. فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله ألا يعذبهم، ثم استأذن معاذ أن يبشر الناسَ بهذا، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: لا حتى لا يتكلوا على ذلك.

خامسًا: إشكال والجواب عنه:

كيف نوفق الفهم بين الآية: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ) (المائدة: ٦٧)؛ حيث إن الآية تدل على وجوب تبليغ الرسول صلى الله عليه وسلم للرسالة، وبآخر الحديث يخبر الرسول صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل بعدم التبشير، وإن كان النبي صلى الله عليه وسلم قد نهى معاذًا، فلماذا أخبر معاذ بهذا؟

الجواب:

أولاً: إن أمره صلى الله عليه وسلم بالكتمان ليس المقصود به الكتمان المطلق المؤبد، بل هو كتمان في زمان معين، ولم يستمر هذا الكتمان، بدليل أن معاذًا قد أخبر بهذا الحديث قبل موته، فقد جاء في نهاية هذا الحديث: «وأخبر بها معاذ عند موته تأثمًا» رواه البخاري (١٢٨)، ومسلم (٥٣).

والنبي صلى الله عليه وسلم لم يكتم هذا الأمر، بدليل أنه أخبر به معاذ بن جبل رضي الله عنه، غاية الأمر أنه منع نشره عند بعض الناس خوفًا على من لم يدرك مرامي الحديث، فكان النهي خاصًا بمن يخشى منه الاتكال وترك العمل؛ وهذه مفسدة ظاهرة، في حين أن فوات سماع هذا الحديث: لا يضيع شيئًا من العمل، ولا يُخشى منه مفسدة بينة، ولا شك أن فوات البشرى في حق هؤلاء، واستمرارهم على الجد في العمل، هو آمن لهم، وأرجى من المفسدة المذكورة، وعليه فلا تعارض بين النهي الوارد في الحديث والأمر الوارد في الآية.

ثانيًا: أما لماذا أخبر معاذ فذلك لأسباب منها: أن معاذًا فهم أن هذا الأمر ليس أمرًا مطلقًا كما أسلفنا، جاء في «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٩٨/١): «إنما رواه معاذ مع كونه منهيًا عنه؛ لأنه علم منه: أن هذا الإخبار يتغير بتغير الزمان والأحوال، والقوم يومئذ كانوا حديثي العهد بالإسلام لم يعتادوا تكاليفه، فلما تثبتوا واستقاموا أخبرهم» انتهى.

وأخبر أيضًا لأنه خشي الاستمرار في ذلك فيأثم بترك البلاغ؛ جاء في «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٩٣/١): «أي تجنبًا وتحرزًا عن الوقوع في إثم كتمان العلم» انتهى.

وعليه فلا تعارض بين الآية الكريمة والحديث الشريف، ولا بين الحديث وفعل معاذ رضي الله عنه.

سادسًا: من فوائد الحديث:

اجتمعت فيه فوائد عقدية وفقهية، وتربوية ودعوية، فسبحان من رزق نبيه البيان، ورزقه الحكمة والقرآن، وبعثه بجوامع الكلم.

١- أما العقدية فمن ذلك: الدعوة إلى توحيد الله عز وجل، وهو حق الله على العبيد، والمقصد من الخلق وهو ما أفاده البخاري حين وضع الحديث في كتاب التوحيد، وأفاده النووي حين جعله في كتاب الإيمان، وكذلك الترمذي في أبواب الإيمان، والعبارة التي دلت على ذلك (يعبدوا الله ولا

يشركوا به شيئًا) معناها: ليس فقط أن توجه كل أنواع العبادة لله عز وجل، والتي هي كل ما يحبه الله عز وجل ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والخفية؛ كما عرفها شيخ الإسلام، ليس هذا فحسب؛ لأن كثيرًا من الناس يفعل هذا وينقضه بشرك كمن يعتقد لله الصاحبة والولد، لذا قال النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن قال: (يعبدوا الله) قال: (ولا يشركوا به شيئًا)، فنفى الشرك الذي ينقض هذه العبادة.

- ثم فائدة عقدية أخرى من قول معاذ رضي الله عنه (الله ورسوله أعلم)، وهي جواز التشريك في علم المسائل الشرعية، وذلك بخلاف المسائل القدرية كما ظهر (عندما جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما شاء الله وشئت...)، والعلة في ذلك أن علم المسائل الشرعية هي علم أوحى الله به إلى نبيه، وتميز به النبي صلى الله عليه وسلم دون البشر؛ لكونه يُوحى إليه، فصار علم الشرع الذي رزقه الله لنبيه مقرونًا بعلم الله، فهو منه وحده لا شريك له، فجاز التشريك في ذلك بالواو، وهذا بخلاف الغيب، فقد قرر الله عز وجل ذلك بقوله: (قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ) (النمل: ٦٥)، وكذا بخلاف المسائل القدرية؛ كالمشيئة مثلاً فهي خالصة لله وحده، وليست للبشر، وللبشر منها مشيئتهم الشرعية التي أعطاها لهم الله كقوله تعالى: (لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ) (التكوير: ٢٨).

- ومن الفوائد العقدية قوله: «حق العباد على الله ألا يعذبهم»، أي: إن هم حققوا التوحيد، وهي بشارة عظيمة تواترت بمعناها الأدلة قرآنًا وسُنة.

لكن سبحان الله! وهل للعباد حق على خالقهم؟!

للجواب على ذلك نقول: اختلف الناس في هذا إلى طرفين ووسط، والوسط هم أهل السنة والجماعة.

ففريق قال: للمخلوق حق واجب على الله أوجبه العقل وهؤلاء هم المعتزلة.

وفريق قال: لا حق للعبد على الإطلاق، وهم الجهمية والأشاعرة، وبعض من أخطأ من المنتسبين إلى أهل السنة.

والأمة الوسط تقول: حق العبد على ربه هو ما أوجبه الله على نفسه تفضلاً على عبده، وذلك كقوله تعالى: (كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) (الأنعام: ٥٤)، وقال تعالى: (وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) (الروم: ٤٧)، وقال في الحديث القدسي: (إني حرمت الظلم على نفسي..... الحديث) رواه مسلم.

هذا وننبه على أمر مهم؛ كيف يجتمع هذا مع إجماع أهل السنة أن بعض عصاة هذه الأمة من الموحدين سيدخلون النار؟

نقول والله أعلم: هذا الحديث وما كان في معناه من الأحاديث الأخرى التي ورد فيها نفي العذاب عمن مات لا يشرك بالله شيئًا قد اختلف أهل العلم في تفسيرها.

قال النووي في شرحه للحديث في صحيح مسلم: «فحكي عن جماعة من السلف رحمهم الله، منهم ابن المسيب أن هذا كان قبل نزول الفرائض والأمر والنهي. وقال بعضهم: هي مجملة تحتاج إلى شرح ، ومعناه: من قال الكلمة، وأدى حقها وفريضتها. وهذا قول الحسن البصري. وقيل: إن ذلك لمن قالها عند الندم والتوبة ومات على ذلك. وهذا قول البخاري.

وهذه التأويلات إنما هي إذا حملت الأحاديث على ظاهرها. وأما إذا نزلت منازلها فلا يشكل تأويلها على ما بينه المحققون. فنقرر أولاً أن مذهب أهل السنة بأجمعهم من السلف الصالح وأهل الحديث والفقهاء أن أهل الذنوب في مشيئة الله تعالى، وأن كل من مات على الإيمان وتشهد مخلصًا من قلبه بالشهادتين؛ فإنه سيدخل الجنة، فإن كان تائبًا أو سليمًا من المعاصي دخل الجنة برحمة ربه، وحرم على النار بالجملة...»اهـ.

والحاصل أن العباد إذا قاموا بشهادة لا إله إلا الله وبمقتضياتها وحقوقها، وسلموا من الشرك بقسميه الأكبر والأصغر، ومن البدع والأهواء ومن المعاصي والذنوب. فهؤلاء لهم الأمن التام والاهتداء التام ويدخلون الجنة برحمة الله

تعالى، وأما من تلبس بشيء من الذنوب والمعاصي فهو تحت المشيئة إن شاء الله عز وجل عذبه بقدر ذنوبه، وإن شاء تجاوز عنه، ثم مآله إلى الجنة.

ثانيًا: ومن الفوائد الفقهية في الحديث: جواز إرداف الرجل الرجل وراءه، وكذلك جواز تسمية الدابة كما سمى معاذ هذه الدابة (عفيرًا).

ثالثًا: ومن الفوائد التربوية:

- علاقة المعلم بتلميذه كيف رسمها لنا النبي صلى الله عليه وسلم وهو يردف تلميذه خلفه على حمار، وكذلك وهو يناديه باسمه أكثر من مرة، وكذلك تواضع هذا المعلم العظيم.

- وعلاقة التلميذ بمعلمه وهو يجيب كما أجاب معاذ (لبيك يا رسول الله وسعديك)، ويرد كما رد معاذ: (الله ورسوله أعلم)، مع كونه يستطيع الجواب بما يتبادر إلى ذهن العامة فضلاً عن الخاصة كصحابي فقيه مثل معاذ، فكان يمكن أن يتأول القرآن فيقول: خُلقوا للعبادة، وذلك من قوله تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (الذاريات: ٥٦)، لكنه قال - من أدبه ورغبته في سماع معلمه-: (الله ورسوله أعلم)، فأين هذا الخُلق الآن وقد رأينا من بعض التلاميذ ما لو ترك لنفسه العنان لأجلس نفسه وأقام شيخه على خدمته!!

وظن بما تعلمه من بعض مما عند شيخه أنه قد حاز بذلك ما تساوت به الرؤوس، إننا بحاجة إلى مثل هذه الأخلاق، والتي هي من علامات التجرد أيضًا، فضلاً عن كونها من الأخلاق؛ وذلك لأنه حتى لو كان هذا الطالب قد فاق شيخه علمًا، فأين فضل شيخه الذي زرعه وسقاه؟! وما الفائدة من تطاوله عليه إلا كونه مرضًا في قلبه، يجب أن يسعى لعلاجه.

وسبحان الله! والله ما رأيت -في حدود معرفتي- واحدًا من هذه الشاكلة تم أمره إلى نجاح، بل كما تدين تدان، والجزاء من جنس العمل، فيلفظه القريب والبعيد، ودعواه إلى زوال، فسبحان مدبر الأمر الذي أمرنا بمكارم الأخلاق عمومًا، فضلاً عنها مع شيوخنا الذين علمونا.

وقصص السلف في هذا تقضي على ما بقي من حقي في صفحات المقال، فأحيلك عليها في مظانها لرغبتي في بسط الاطلاع عليها، فانظرها في مظانها، رحمنا الله وإياك. ومن هذه المصادر: (حلية طالب العلم لبكر أبو زيد، التبيان في بيان آداب حامل القرآن للنووي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي، تعليم المتعلم طريق التعلم للزرنوجي، وشرحه لابن إسماعيل، جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر.

٢- ثم تأتي فائدة دعوية مهمة: وهي ألا يُنقل للناس ما لا تتحمله عقولهم وأفهامهم، فيكون ذلك داعيًا إلى حمله على محمل خطأ يضر بهم؛ وذلك من قوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ (لا، فيتكلوا)، عندما سأله معاذ: (أفلا أبشر الناس). وهذا المنهج سار عليه الصحابة ومن تبعهم بإحسان فيما ليس تحته عمل أو حد من حدود الشريعة، ولا تدعو له ضرورة أو لا تتحمله عقول العامة أو في نقله ضرر على قائله أو سامعه، وقد قاله النووي، ونسبه إلى القاضي عياض، وذكر نحوه الحافظ ابن رجب أن أحاديث الرُّخَص لا تُقال لعموم الناس حتى لا يتكلوا، ويقصروا في العمل.

وختامًا نقول: التوحيد قضية أمة:

هذا وإن كان الإمام البخاري لما صنَّف صحيحه بدأه بكتاب بدء الوحي، وانتهى بكتاب التوحيد، فكانت رسالة منه وفهمًا أن كل شرائع الدين وشعائره والتي وردت في سِفْره العظيم بين بدء الوحي وكتاب التوحيد، وهي جل شرائع الدين وشعائره؛ كلها ما كانت إلا لتحقيق التوحيد، والذي هو المقصد من الخلق وغاية التكليف؛ إذ هو العبودية دون إشراك، والتي هي من حق الله على العبيد.

لذا فإنني أقول لمن يعتب على أنصار السنة تبنيها لهذه القضية؛ وجعلها أساس دعوتها أقول له: وهل تتحقق السعادة في الدنيا والآخرة إلا بتحقيق التوحيد، وقد قال الله: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) (الأعراف: ٩٦)، وقال الله تعالى: (مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ) (النساء: ١٤٧).

هذا فضلاً عن أننا كدعاة إلى الله لم نتعلم من مشايخنا غير هذا، فلا نحسن غيره من طرائق الدعوة المزعومة، ونحن ندين لله بهذا الطريق، وأنه هو الطريق الأوحد للصلاح والإصلاح، لذا فإننا نقول: (التوحيد قضية أمة)، والحمد لله رب العالمين.

درر البحار في تحقيق ضعيف الأحاديث القصار

الحلقة (٤٥)

إعداد / علي حشيش

٤١٣- « سُوءُ الْخُلُقِ شُؤْمٌ، وَشِرَارُكُمْ أَسْوَؤُكُمْ خُلُقًا ».

الحديث لا يصح: أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢٤٩/١٠)، وأخرجه الخطيب في «التاريخ» (٢٧٦/٤) قال: أخبرنا أبو نعيم الحافظ به من حديث عائشة مرفوعًا، وعلته عبد الله بن إبراهيم الغفاري، قال الحافظ الذهبي في «الميزان» (٤١٩٠/٣٨٨/٢): وهو عبد الله بن أبي عمرو المدني يُدلسونه لوهنه، ونقل عن الدارقطني أن حديثه منكر. اهـ. وقال الحافظ في «التقريب» (٤٠٠/١): «عبد الله بن إبراهيم الغفاري: متروكٌ، نسبه ابن حبان للوضع». اهـ.

٤١٤ – "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا وعَد وعدًا قال عسى".

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (١٢٩/٣) بصيغة الجزم، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «لم أجد له أصلاً». اهـ.

٤١٥- « عُرِجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ، فَمَا مَرَرْتُ بِسَمَاءٍ إِلا وَجَدْتُ فِيهَا اسْمِي مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ مِنْ خَلْفِي ».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن عدي في «الكامل» (١٩٠/٤) (١٠٠٣/٣٦) من حديث أبي هريرة مرفوعًا، وآفته عبد الله بن إبراهيم الغفاري، وقال ابن عدي: عامة ما يرويه لا يُتابع عليه، وأخرجه ابن حبان في «المجروحين» (٣٧/٢) من حديث عبد الله بن عمر مرفوعًا بلفظ: «ما جُزت ليلة أُسري بي من سماء إلى سماء إلا رأيتُ اسمي مكتوبًا: محمدٌ رسولُ الله وأبو بكر الصديق خلفي». ثم قال: «هذا خبر باطل، والقلب إلى أنه من عمل عبد الله بن عمرو أميل، كان ممن يأتي عن الثقات المقلوبات، وعن الضعفاء الملزقات». اهـ. وعبد الله بن عمرو هو عبد الله بن إبراهيم الشامي كما بينا آنفًا.

٤١٦- "أَكْثِرُوا مِنَ الْمَعَارِفِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ شَفَاعَةً عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ".

الحديث لا يصح: أخرجه الديلمي (٣٠/١/١)، وأورده ابن عراق في «تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة» (٣١٤/٢) (ح١١٠) من حديث أنس مرفوعًا، وقال: «فيه أصرم بن حوشب»، وأورده الشوكاني في «الفوائد» (ص٥١١)، وقال: وفي

إسناده: أصرم بن حوشب وهو كذاب. اهـ. وقال الحافظ الذهبي في «الميزان» (١/٢٧٢/١٠١٧): أصرم هالك، وقال يحيى: كذاب خبيث، وقال البخاري ومسلم والنسائي: متروك، وقال ابن حبان: كان يضع الحديث على الثقات. اهـ.

٤١٧- "كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا تَغَدَّى لَمْ يَتَعَشَّ، وَإِذَا تَعَشَّى لَمْ يَتَغَدَّ".

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (٣/٨٨) من حديث أبي سعيد الخدري، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «لم أجد له أصلاً». اهـ.

٤١٨- «طلحةُ والزبيرُ جاراي في الجنَّة».

الحديث لا يصح: أخرجه الترمذي في «السنن» (٥/٦٠٣- شاكر) (ح٣٧٤١)، والحاكم (٣/٣٦٥) من حديث علي بن أبي طالب مرفوعًا بقوله: سمعت أذني من في رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال الترمذي: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وعلته أبو عبدالرحمن النضر بن منصور العنزي، قال الإمام البخاري في «الضعفاء الصغير» (٣٧٦): «النضر بن منصور: منكر الحديث». قال الذهبي في «الميزان» (١/٦/٣): «نقل ابن القطان أن البخاري قال: كل من قلت فيه منكر الحديث فلا تحل الرواية عنه». اهـ. وعلة أخرى: عقبة بن علقمة اليشكري قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٢/٢٧): «ضعيف».

٤١٩- «مَا أُبَالِي مَا رَدَدْتُ بِهِ عَنِّي الْجُوعَ».

الحديث لا يصح: أخرجه الإمام ابن أبي الدنيا في «الجوع»، قال: حدثنا أحمد بن جميل المروزي قال: حدثنا عبد الله بن المبارك قال: أخبرنا الأوزاعي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. فذكره، وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» (ح٥٧١)، والحديث ضعيف بالسقط في الإسناد، حيث إن الأوزاعي...؛ حيث قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (١/٤٩٣): «عبد الرحمن بن عمرو بن أبي عمرو الأوزاعي، أبو عمرو الفقيه من السابعة». اهـ.

قلت: والسابعة هي طبقة كبار أتباع التابعين فقط سقط من السند طبقتين: طبقة التابعين وطبقة الصحابة، فالساقط من السند اثنان أو أكثر على التوالي، قال الحافظ في «شرح النخبة» (ص٤٢): «القسم الثالث: من أقسام السقط من الإسناد إن كان باثنين فصاعدًا مع التوالي فهو المعضل». اهـ.

٤٢٠- «إِنَّ مِنَ السَّرَفِ أَنْ تَأْكُلَ كُلَّ مَا اشْتَهَيْتَ».

الحديث لا يصح أخرجه ابن ماجه في «السنن» (ح٣٣٥٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٠/٢١٣)، وابن أبي الدنيا في «الجوع» (ح١٨١) وهو مسلسل بالعلل:

الأولى: بقية مدلس وقد عنعن، والعلة الثانية: يوسف بن أبي كثير مجهول، والعلة الثالثة: نوح بن ذكوان متروك.

التعايش والوفاق في المجتمع المسلم

الحمدُ لله، الحمدُ لله خلقَ الإنسانَ في أحسن تقويم، وخصَّه بالتفضيل والتكريم، جعلَه أهلاً لدينه وشريعته، ومحلاً لتكليفه وأمانته، أحمدُه- سبحانه- وأشكرُه لا عزَّ إلا في طاعته، ولا غنى إلا بالافتقار إلى رحمته.

وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً تُوصلُ إلى رضوانه وجنَّته. وأشهدُ أن سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عبدُ الله ورسولُه أعظمُ الخلق خُلُقًا، وأحسنُهم جوارًا، وأكرمُهم في عشرته، صلَّى الله وسلَّم وبارَك عليه، وعلى آله السادة الشرفاء عترته، والأخيار الحُنفاء صحابته، والتابعين ومن تبِعَهم بإحسانٍ وسارَ على نهجه وطريقته، وسلَّمَ تسليمًا كثيرًا مزيدًا لا مُنتهَى لغايته.

إعداد/ الشيخ د. صالح بن عبد الله بن حميد
إمام المسجد الحرام

أما بعد: فأُوصيكم- أيها الناس- ونفسي بتقوى الله، فاتقوا الله- رحمكم الله-، فجادَّةُ النجاة قليلٌ سُلاَّكُها، والقلوبُ الغافلةُ مخوفٌ هلاكُها.

فما للقلوب لا تتدبَّر.. وما للأبصار لا تتبصَّر.. أغرَّتها آمالُها؟!.. أم على قلوب أقفالُها؟!.. إن الله لم يخلُق الخلقَ عبثًا، ولم يترُكهم سُدَى، كلا ثم كلا، فوربِّكم لتُسألُنَّ عن الرسول ومن أرسلَه، وعن القرآن ومن أنزلَه، وعما اجترحَه ابنُ آدم في الدنيا وما عملَه، (فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ) (الأعراف: ٦- ٩).

اختلاف البشر سنة ربانية

معاشر المسلمين: إن من سُنَّة الله في البشر: اختلافُ أذواقهم وفُهومهم وإدراكاتهم وحدَّة طباعهم وهدوئهم وذكائهم وقناعاتهم، فلكل إنسانٍ قناعاتُه ورؤيتُه وفهمُه وإدراكُه، فلا يُحجَرُ عليه، ولا يُجبَرُ على تغيُّر مفاهيمه، وما يصلُحُ لهذا قد لا يصلُحُ لذاك.

وإن من عباد الله من لا يُصلحُه إلا الغنى، ولو أفقرَه الله لكفَر، وإن من عباد الله من لا يُصلحُه إلا الفقر، ولو أغناه الله لبطَر.

وكم أعطى اختلافُ الألوان جمالَ الصُّورة، فلدرجات الألوان أهميتُها من أجل اكتمال الصورة وجمالها، وكلٌّ مهمٌّ بقَدر أهمية صاحبه، وما اختلفَت أصابعُ اليدين إلا لاختلاف الوضع فيها.

ومن هنا- عباد الله- فإن اختلافَ الناس ليس اختلاف تفاضُل وتمايُز بين أعراقها وقبائلها وطبقاتها، ولكنَّه اختلافٌ من أجل المنافع والإبداع، وتعدُّد طُرق المعرفة والثقافة، والتسابُق في الخيرات، والمُسارَعة إلى المكرُمات، ومن أجل أن يتعارَفوا وليتَّخذ بعضُهم بعضًا سُخريًا. أما ميزانُ التفاضُل فهو التقوى والعملُ الصالح ليس إلا.

سبل التعامل مع حقائق التنوُّع الاجتماعيّ

معاشر الإخوة: إن المسلك الحكيم هو في التعامُل مع ما قضَته سُنَّةُ الله من حقائق التنوُّع الاجتماعيِّ، والتفكيرُ بطريقة مُنفتحة غير ضيِّقة؛ لأن الأُطُر الضيِّقة لا تُنتجُ إلا خياراتٍ ضيِّقة، وفهمُ الآخر لا يلزمُ منه القناعة بما يقول، ولو لم تكُن أنت مُختلفًا لما كان الآخرُ مُختلفًا، وإذا اتَّفقَ اثنان في كل شيء فلا حاجةَ لأحدهما.

معاشر الأحبَّة: الانسجامُ والتعايُش شعورٌ داخليٌّ جميلٌ في النفس الإنسانيَّة، يُبرزُ العلاقةَ الإيجابيَّة والانتماء بين أفراد المُجتمع، فيكونُ كالبُنيان يشُدُّ بعضُه بعضًا، وكالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعَى له سائرُ الجسد بالسَّهر والحُمَّى.

الانسجامُ والتعايُش ينطلقُ من الأُخُوَّة، وصلاح النفس، وسلامة الصدر، والمُساواة، والمحبَّة، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر وبالمرحمة.

والمُساواةُ بين الناس ليست مُساواةَ تماثُل؛ بل مُساواةُ تكامُل. مُساواةٌ تنفي العصبيَّة والحزبيَّة، وحميَّة الجاهليَّة، ودعوَى الجاهليَّة، وتُؤكِّدُ السمعَ والطاعةَ، ولُزوم الجماعة وعدم الشُّذوذ عنها أو الخروج عليها.

الانسجامُ والتعايُش هو الاعترافُ بحقِّ العيش في مُجتمعٍ واحد، وبلد واحد. والناسُ يتعايَشُون بالدين وبالمروءة وبالحياء وبالرغبة وبالرهبة.

التعايُش هو الوجودُ المُشتركُ بين الناس، على اختلاف طبائعهم ومقاصدهم، وهو لا يعني الإلغاء، وإنما يعني الاعترافَ بالآخر. التعايُش هو تنظيمُ وسائل العيش بين الناس.

إخوتي في الله: الانسجامُ والتعايُش ينشرُ الأُلفة والتعاوُن والترابُط، ويُنمِّي روحَ العمل والإبداع، ويحمي البلادَ من الانحراف، والأفكار المُنحرفة، والاتجاهات العُدوانيَّة، ويُقلِّلُ من أثر الشائعات المُوهنة للعزائم، والمُفرِّقة للجماعة.

معاشر الأحبَّة: كسبُ القلوب مُقدَّمٌ على كسب المواقف، ووحدةُ القلوب مُقدَّمةٌ على وحدة الآراء. تأمَّلوا- حفظكم الله- قولَ موسى لأخيه هارون- عليهما السلام-: ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى﴾ (طه: ٩٢، ٩٣)، فأجابَ هارونُ مُحافظًا على الوحدة ومُبتعدًا عن الفُرقة: ﴿إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى﴾ (طه: ٩٤).

معاشر المسلمين: أما في ديننا فلم تُشرع شرائع الدين، ولم تُفرض فرائضُ الإسلام، ولم تتنزَّل الأحكام إلا بعد أن استقرَّ المُسلمون المُهاجرون والأنصار في مُجتمع المدينة بمُكوِّناته وتنوُّعه.

ولقد ذكرَ بعضُ أهل العلم أن من غايات الهجرة: تكوينَ الوحدة الإسلاميَّة في ظلِّ الدولة الإسلاميَّة.

لقد كان مُجتمعُ المدينة مُجتمعًا مُتعايشًا، وهم يضُمُّ: المُؤمنين، والمنافقين، واليهود، والمُشركين، وغيرَهم.

وقد قيل للمُؤمنين في مكَّة قبل الهجرة: ﴿كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ (النساء: ٧٧)، ولما انتقَلوا إلى المدينة عاشُوا مع أهلها، قيل لهم: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾ (الممتحنة: ٨).

وقد وجَّه الله نبيَّه محمَّدًا- صلى الله عليه وسلم- في شأن أهل الكتاب بقوله: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (المائدة: ١٣).

والعفوُ: تركُ المُؤاخذَة بالذنب، والصَّفحُ: تركُ أثره في النفس.

ولما قال المُنافقون مقالتَهم التي سجَّلها عليهم القرآنُ العزيز: ﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ (المنافقون: ٨)، طلبَ الصحابةُ- رضوانُ الله عليهم- من النبي-

صلى الله عليه وسلم- أن يأذن بقتلهم، فقال- عليه الصلاة والسلام-: «لا يتحدثُ الناسُ أنه كان يقتل أصحابه».

ما أعظمَها من كلمة، وما أوضحه من توجيه. فأين هذا- عياذًا بالله- من الذين يقتلون آباءهم وأمهاتهم وأقاربَهم، فضلاً عن إخوانهم المسلمين؟!

الاجتماع ووحدة الكلمة من أعظم الخيرات

معاشر الإخوة: لقد كان الصحابة- رضوان الله عليهم- يرون الاجتماع من أعظم الخيرات، وأكبر الصالحات، لذا تراهم قد ائتمُّوا بكل من حقّت له الإمامة.

يقول الإمامُ ابن حزم- رحمه الله-: "وما امتنعَ قطُ أحدٌ من الصحابة- رضي الله عنهم- ولا من خيار التابعين من الصلاة خلف كل إمام صلى بهم، حتى خلفَ الحجّاج بن يوسف، وحُبيش بن دُلجة، ونجدة الحروري، والمختار بن أبي عُبيد، وكل مُتَّهمٌ بالكفر".

والمسلمون يرون أن من صلَّى صلاتَهم، واستقبلَ قبلتَهم، وأكل ذبيحتَهم، فهو منهم، والسرائرُ إلى الله، والحسابُ على الله، فلا شقَّ عن القلوب، ولا غلَّ على سابقٍ بالإيمان، ولا تفريقَ بين المسلمين بالأسماء والألقاب ولو كانت أشرفَ الألقاب والأسماء، مثل: المهاجرين والأنصار، وإنما تُقالُ على سبيل الثناء والتأليف والتعريف.

والمسلمون يحرصون على هداية الخلق، ويسترُون العيوب، ولا يتتبَّعون العورات، ولا يذكرون أخطاءَ أهل العلم إلا لبيانِ الحقِّ، وعلى سبيل الترجيح لا على سبيل التجريح، ويلتمسُون العُذرَ ما أمكن.

يقولُ شيخُ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله-: "إن المُتأوِّل الذي قصدُه مُتابعةُ الرسول- صلى الله عليه وسلم- إذا اجتهدَ فأخطأ لا يُكفَّر، بل ولا يُفسَّق، وهذا مشهورٌ عند الناس في المسائل العلمية، وأما مسائل العقائد فكثيرٌ من الناس كفَّر المخطئين فيها. وهذا القول لا يُعرفُ عن أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا عن أحد من أئمة الإسلام، وليس فيهم- يعني: الأئمة الأربعة- من كفَّر كلَّ مُبتدع.

بل المنقولات الصريحةُ عنهم تُناقضُ ذلك، ولكن قد يُنقلُ عن أحدهم أنه كفَّر من قال بعضَ الأقوال، ويكونُ مقصودُه: إن هذا القولَ كُفرٌ ليُحذَر.

ولا يلزمُ إذا كان القولُ كفرًا أن يكفُر كلُّ من قالَه مع الجهل والتأويل؛ فإن ثبوتَ الكفر في حقِّ الشخص المُعيَّن، كثبُوت الوعيد في الآخرة بحقه، وذلك له شروطٌ وموانع". اهـ كلامُه- رحمه الله-.

ومن منقولات السلف: "لو كان كلُّ ما اختلفَ مُسلمان في شيءٍ تهاجَرا لم يبقَ بين المُسلمين عصمةٌ ولا أُخوَّة".

وما أجمل الوقوفَ عند قوله- صلى الله عليه وسلم-: «شهدتُ بدار عبد الله بن جُدعان حلفًا ما أحبُّ أن لي به حُمر النَّعم، ولو دُعيتُ لمثله في الإسلام لأجبتُ».

إنه حلفٌ يحفظُ الحقوقَ، وينصُر المظلوم، ويُعينُ المحرُوم، ويحفظُ المصلحةَ العامَّة، ويدفعُ التصادُم.

وقد قال الإمام البغويُّ- رحمه الله- في قوله تعالى: (فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ) (النساء: ١٤٠)، قال: "وإن خاضُوا في حديث غيره فلا بأسَ في القعُود معهم مع الكراهة".

عباد الله: إن الإسلام يسَعُ أهلَه كلهم، لسعَته وسماحته، عاشُوا في كنَفه وتعايشُوا على أرضه القرونَ تلوَ القرُون، وعونُ الله لا يتنزَّلُ على المُتعصِّبين والمُتحزِّبين، ولا ينصُر الله أقوامًا مُتفرِّقين.

إن الجفاءَ والتباعُد النفسيَّ والاجتماعيَّ هو الذي يقضي على الوحدة، وينبُذ التعايُش، والعاقلُ المُنصفُ من اغتفرَ قليلَ خطأ أخيه في كثير صوابه، فلا يبخَسُ الناسَ حقوقَهم، ولا أشياءَهم؛ بل يُعاملُ الناسَ بما يحبُّ أن يُعاملوه به، فلا يقفُ عند الألفاظ والكلمات؛ بل يقبلُ ما يقولُه صاحبُه في تفسير مُراده.

وبعد- عباد الله-:

القولُ الحسنُ والتعامُل الحسنُ لا يتوقَّفُ على دين أو مذهب؛ بل هو حقٌّ لكل الناس، (وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا) (البقرة: ٨٣).

والوسيلةُ في ذلك: الرِّفقُ والإنصافُ، والحبُّ والابتسامةُ، وحُسنُ الظنِّ، وطيبُ القلب، وسلامةُ الصدر، والاحترامُ والتقديرُ.

ولا تستطيعُ حمايةَ نفسك ما لم تحم إخوانَك،

فالمرءُ قليلٌ بنفسه كثيرٌ بإخوانه، والحياةُ قائمةٌ على الزوجيَّة والثُّنائيَّة، وليس على الأُحاديَّة والفرديَّة، وتسويةُ الناس بفكرٍ واحد خلافُ سُنَّة الله، والحوارُ هو للتعارُف والتعايُش والتفاهُم ومزيد من الثقافة، وليس للإلزام والإقناع.

الفرق بين التعايُش والردِّ على المُخالف

معاشر المُسلمين:

ينبغي التفريقُ بين التعايُش والردِّ على المُخالف؛ فالردُّ على المُخالف بابٌ واسعٌ مفتوح، يُسلَكُ فيه مسالكُ المصلحة والحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن في بيان الحق، وتزييف ما عداه.

فالنبي- صلى الله عليه وسلم- في المدينة قبلَ تنوُّعها وتعدُّد سُكَّانها، في حين أن القرآن كان ينزِلُ لبيان الحقِّ وفضح المُخالف.

كما ينبغي التفريقُ بين المُسالم والباغي والخائن؛ فالذي يبغي ويُهدِّدُ السِّلم العام، ويُريدُ تفريقَ المُسلمين، ويُعملُ السَّيفَ على رقابهم، فلا بُدَّ من إيقافه عند حدِّه، والضرب على يده كائنًا من كان.

والذي يخُونُ وطنَه، ويخذُلُ أهلَه، ويتواطأُ مع الأعداء ويُمالِئُهم يجبُ الحزمُ معه، وفضحُ أمره، واتخاذُ الموقف الرَّادع الصارم له ولأمثاله.

وقد قال عليٌّ- رضي الله عنه- في الخوارج: "لكم علينا ألا نمنَعَكم حقَّكم من الفَيء، ولا نمنَعَكم من المساجد، ولا نُقاتلَكم حتى تُقاتلوا".

فلما استحلُّوا دماءَ المُسلمين وأموالَهم، فقتَلُوا عبد الله بن خبَّاب، وأغارُوا على سَرح المُسلمين، فحينئذٍ قاتلَهم- رضي الله عنه-.

ألا فاتَّقوا الله- رحمكم الله-؛ فإن وحدةَ الصفِّ واجتماع الكلمة غاياتٌ مطلوبةٌ في كل حين، وهي عُنوانُ قوَّة الأمة، وسرُّ حفظ البلاد، ولكنَّها في هذه الظروف التي يتربَّصُ بها الأعداءُ، ويتطاوَلُ فيها المُغرضون، ويجترئُ فيها الخَونَةُ، تكونُ أشدَّ إلحاحًا وأعظمَ حاجة.

فيجبُ على كل مسئُول أيًّا كانت مسؤوليَّته، سياسيًّا أو إعلاميًّا أو تعليميًّا أو غيرَهم، في قطاع عامٍّ أو في قطاع خاصٍّ، أن يتأمَّل في الأوضاع، ويعيشَ الواقع، ويستوعبَ النوازل المُحيطة، وبخاصَّةٍ في هذا البلاد المُباركة القائمة على شرع الله الرافعة لراية التوحيد، وقد أدركَ العالَمُ ذلك فيها، ووحدة صفِّها، وتماسُك جبهتها الداخليَّة، ومَصداقيَّتها، وحُسن علاقاتها. ومن هنا، كانت الثقةُ بها، والقبولُ بدعواتها، والالتفافُ حولَها، والتحالُف معها.

يجبُ على كل مسئُول الالتزامُ بكل ما يُؤكِّدُ روابط الوحدة، وتلاحُم المُجتمع، بعيدًا عن المُزايَدات وعن كل نقاش أو مسائل لا تُناسب المرحلَة، والحذَر من إثارة ما يُفسدُ ولا يُصلح، ويُفرِّقُ ولا يجمَع من مقالاتٍ أو تغريدات أو رسومات.

باعثُ ذلك: حُسنُ التديُّن، والحبُّ، والإخلاصُ، والعقلُ والحكمة، والغيرةُ على الدين، وعلى الوطن، وعلى الأهل، حرصًا على المصلحة العامَّة، واجتماع الكلمة، والالتفاف حول القيادة، وإغاظة العدوِّ المُتربِّص.

سبحان ربِّك ربِّ العزَّة عما يصفون، وسلامٌ على المُرسَلين، والحمدُ لله ربِّ العالمين.

تهنئة

تهنئ أسرة تحرير المجلة واللجنة العلمية والمركز العام ابنًا من أبنائها وهو الباحث أيمن أحمد عبد المنعم المسلمي؛ لحصوله على درجة الماجستير في النحو والصرف بعنوان: «الجهود النحوية لابن الملقن في كتابه التوضيح شرح الجامع الصحيح»، من جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، وقد حصل الباحث على درجة الماجستير بتقدير ممتاز.

وقد أشرف عليها: أ. د. أحمد محمد عبد الدايم (وكيل كلية دار العلوم سابقًا)

وناقشه فيها:

- أ. د. عصام عامرية (وكيل كلية دار العلوم - الفيوم)

أ. د. مصطفى أحمد عبد العليم (أستاذ النحو والصرف بكلية دار العلوم - القاهرة)

وأسرة تحرير المجلة تتمنى له مزيدًا من التوفيق والسداد.

العقيقة.. آداب وأحكام

الحلقة الثانية

إعداد/ محمد عبد العزيز

الحمد لله، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده. وبعد:

فقد تناولنا في المقال السابق أربعة من المسائل المتعلقة بأحكام وآداب العقيقة وهي: تعريف العقيقة، وحكم مشروعيتها، والحكم التكليفي للعقيقة، وممَّ تكون العقيقة؟

وفي هذا المقال نتناول مسألة واحدة وهي: مقدار ما يذبح في العقيقة عن الغلام، أو الجارية.

مقدار ما يذبح في العقيقة عن الغلام، أو الجارية

سبق معنا أن العقيقة عند جمهور أهل العلم إنما تكون من بهيمة الأنعام، وهو الراجح إن شاء الله- تعالى-.

وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أنه يجزئ فيها ما قل، وما كثر مما يسمى ذبحه إهراقا لدم لـ:

١- حديث سلمان بن عامر الضبي، قال: سمعت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يقول: «مع الغلام عقيقة، فأهريقوا عنه دمًا، وأميطوا عنه الأذى». رواه البخاري (٥٤٧١).

٢- حديث سمرة بن جندب- رضي الله عنه- أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال: «كل غلام رهينة بعقيقته، تذبح عنه يوم السابع، ويحلق رأسه، ويسمى».

رواه أبو داود (٢٨٣٧) و(٢٨٣٨)، والترمذي (١٥٥٢)، والنسائي (١٦٦/٧).

والشاهد في هذين النصين وغيرهما أنهما مطلقان غير مقيدين بنوع ما يذبح، ولا عدده، وإنما جاء الأمر بإهراق الدم في قوله: «فأهريقوا عنه دمًا». فيصح بالقليل والكثير، ولا يتقيد بنوع دون آخر.

وهذا المذهب مروي عن محمد بن إبراهيم التيمي- رحمه الله تعالى- وهو خلاف شاذ لا يعتد به كما تقدم، وعلى فرض ثبوته فهو مؤول بأنه ما أراد به الحقيقة.

قال الإمام الشافعي في الأم (٢٢٩/٧): «أخبرنا مالك عن يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي قال: تستحب العقيقة، ولو بعصفور».

وقال ابن عبد البر في الاستذكار (٣٢١/٥): وأما قوله: «ولو بعصفور» فإنه كلام خرج على التقليل والمبالغة كما قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- لعمر في الفرس: ولو أعطاكه بدرهم، وكما قال في الأمة إذا زنت: بعها ولو بضفير».

ولا حجة له في الحديثين السابقين لأنهما مطلقان، وقد قيدا بنصوص أخرى سيأتي بعضها.

قال ابن عبد البر في الاستذكار (٣٢١/٥): «وقد أجمع العلماء أنه لا يجوز في العقيقة

إلا ما يجوز في الضحايا من الأزواج الثمانية إلا من شذ ممن لا يعد خلافا».

أما مقدار ما يذبح في العقيقة عند جماهير أهل العلم ممن جعلوها في بهيمة الأنعام خاصة فقد اختلفوا في المسألة على مذهبين:

الأول: التسوية فيها بين الذكر، والأنثى، فيذبح عن كل منهما شاة، شاة.

الآخر: التفرقة بين الذكر والأنثى، فَيُذْبَحُ عن الغلام شاتان، وعن الجارية شاة، في تفاصيل يشار إليها في مكانها.

وقد لخص ابن رشد الحفيد مذاهب أهل العلم في بداية المجتهد فقال (٣/١٥):

«وأما العدد فإن الفقهاء اختلفوا أيضا في ذلك:

- فقال مالك: يعق عن الذكر والأنثى بشاة شاة.

- وقال الشافعي وأبو ثور، وأبو داود، وأحمد: يعق عن الجارية شاة، وعن الغلام شاتين».

وإليك بعض تفاصيل ذلك:

أما المذهب الأول: التسوية فيها بين الذكر، والأنثى.

فهو قول ابن عمر، وعروة بن الزبير، وأبي جعفر محمد بن علي، وهو مذهب إمام دار الهجرة مالك بن أنس- رحمه الله تعالى-.

قال الإمام مالك في الموطأ: «الأمر عندنا في العقيقة أن: من عق فإنما يعق عن ولده بشاة، شاة، الذكور، والإناث.

وهي من الأمر الذي لم يزل عليه الناس عندنا».

وقال القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر البغدادي المالكي المتوفى: (٤٢٢ هـ) في الإشراف على نكت مسائل الخلاف: «يعق بشاة، شاة عن الذكر والأنثى.

خلافا لأبي حنيفة والشافعي في قولهما: إنه يعق عن الغلام بشاتين وعن الأنثى بشاة.

× لأنه- صلى الله عليه وسلم- عق عن الحسن والحسين كبشا، كبشا.

× ولأنه ذبح متقرب به، فلم يتفاضل فيه الذكر، والأنثى كالأضحية».

وقال شهاب الدين القرافي (المتوفى: ٦٨٤هـ) في الذخيرة:

«ومن ولد له ولدان في بطن واحد فشاتان، ولا يشترك فيها كالأضحية.

× والذكر والأنثى سواء شاة».

وقد استدل أصحاب هذا المذهب بأمور:

١- بالأدلة المطلقة التي لم تحدد مقدارًا كحديث سمرة بن جندب- رضي الله عنه- أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال: «كل غلام رهينة بعقيقته، تذبح عنه يوم السابع، ويحلق رأسه، ويسمى».

٢- بأنها نسك متقرب به فيستوي فيه الذكر والأنثى كالأضحية.

٣- وبأنه عمل أهل المدينة وقد تقدم قول الإمام مالك في الموطأ: «الأمر عندنا في العقيقة أن: من عق فإنما يعق عن ولده بشاة شاة الذكور والإناث».

٤- بأنه الثابت بالسنة الفعلية عن النبي صلى الله عليه وسلم فإنه عق عن الحسن، والحسين كبشا، كبشا.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عق عن الحسن والحسين كبشا، كبشا». رواه أبو داود (٢٨٤١) وقد أعل بالإرسال، وصححه جمع من أهل العلم منهم الألباني في الإرواء قال (٤/٣٧٩) «قلت: وهذا إسناد صحيح على شرط البخاري، وقد صححه عبد الحق الأشبيلي في «الأحكام الكبرى»».

قلت: وقد رواه عنه النسائي (٤٢١٩) من طريق آخر لكن بلفظ: «عق رسول الله- صلى الله عليه وسلم- عن الحسن والحسين- رضي الله عنهما- بكبشين كبشين».

وقد قال الحافظ في الفتح: «أخرجه أبو داود، ولا حجة فيه، فقد أخرجه أبو الشيخ من وجه آخر عن عكرمة عن ابن عباس بلفظ «كبشين كبشين».

وأخرج أيضًا من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مثله».

أقول: لكن حديث عمرو بن شعيب ضعيف قال ابن الملقن في البدر المنير (٩/٣٤١): «ومنها حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده «أن النبي- صلى الله عليه وسلم- عق عن الحسن والحسين عن كل واحد منهما كبشين اثنين مثلين متكافئين».

رواه الحاكم في مستدركه، وسكت عليه، وفي إسناده سوار أبو حمزة وهو ضعيف».

أما المذهب الآخر: التفرقة بين الذكر والأنثى.

فهو مذهب جمهور أهل العلم من أصحاب النبي- صلى الله عليه وسلم -، وهو مذهب الشافعي، وأحمد- رحمهما الله تعالى-.

× وتفصيل مذهب الشافعية:

- أن تحصيل أصل السنة يكون بذبح شاة عن الغلام، والجارية، على السواء.

- وتحصيل كمال السنة بأن يُذبح عن الغلام شاتان، وعن الجارية شاة.
قال أبو إسحاق الشيرازي في المهذب (٤٣٨/١): «والسنة أن يُذبح عن الغلام شاتان، وعن الجارية شاة».
وقال النووي في روضة الطالبين (٢٣١/٣): «يُعَقُّ عن الجارية شاة، وعن الغلام شاتان.
- ويحصل أصل السنة بواحدة».
× وتفصيل مذهب الحنابلة:
- أنه يعق عن الغلام بشاتين، والجارية بشاة.
- وأنه لا يجزئ عن الغلام الشاة الواحدة، إلا مع عدم وجدان ثمن الثانية فتجزئ، في ظاهر المذهب.
- واختار ابن قدامة أنه لو خالف السنة مع الوجدان فعق عن الغلام بشاة واحدة أجزأه ذلك.
قال الخرقي في المختصر (ص ١٤٧): «والعقيقة سنة، عن الغلام شاتان، وعن الجارية شاة، تذبح يوم السابع».
وقال المرداوي في الإنصاف (١١٠/٤): «قوله:
- والمشروع: أن يذبح عن الغلام شاتين، وعن الجارية شاة.
وهذا بلا نزاع مع الوجدان.
- ويستحب أن تكون الشاتان متقاربتين في السن والشبه، نص عليه.
- فإن عدم الشاتان: فواحدة.
- فإن لم يكن عنده ما يغني، فقال الإمام أحمد: يقترض، وأرجو أن يخلف الله عليه.
وقال الشيخ تقي الدين: يقترض مع وفاء، وينويه عقيقة.
- وقال المصنف، والشارح: إن خالف وعق عن الذكر بكبش: أجزأ».
× أدلة الشافعية، والحنابلة:
وقد استدل الشافعية والحنابلة بالأدلة المقيدة للمطلقات ومنها:
- حديث عبد الله بن عمرو- رضي الله عنهما - قال: سئل رسول الله- صلى الله عليه وسلم- عن العقيقة؟
فقال: «لا يحب الله العقوق».
كأنه كره الاسم.
فقالوا: يا رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: إنما نسألك عن أحدنا يولد له؟
قال: «من وُلد له وَلد فأحب أن ينسك عنه، فليَنْسُكْ عن الغلام شاتان مكافئتان، وعن الجارية شاة».
رواه أحمد (٦٨٢٢)، وأبو داود (٢٨٤٢)، والنسائي (٤٢١٢) وانظر السلسلة الصحيحة (١٦٥٥).
- عن أم كرز، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «في الغلام شاتان مكافأتان، وفي الجارية شاة».
رواه أحمد (٢٧٣٦٩)، وأبو داود (٢٨٣٤)، والترمذي (١٥١٦) والنسائي (٤٢١٥)، وابن ماجه (٣١٦٢).
وموضع الشاهد فيهما واضح بين.
- وأجابوا عن قول المالكية بأنه قربة، بأنها قربة محددة المقدار.
- وعن قول مالك: إنها عمل أهل المدينة، بأن أهل المدينة بعض الأمة، فلا حجة في قولهم، ولا ينعقد الإجماع بهم وحدهم، فكيف يُحتج بعملهم وهو مخالف للنصوص المقيدة؟!
وقد حمل الشافعية حديث ابن عباس- رضي الله عنهما- عند أبي داود في عق النبي- صلى الله عليه وسلم- عن الحسن والحسين كبشًا، كبشًا على حصول أصل السنة، وبالأحاديث التي ورد فيها العقيقة بالكبشين عن الغلام على حصول كمالها.
وحمل الحنابلة حديث ابن عباس- رضي الله عنهما- عمن عدم الشاة الثانية.
وبالجملة فالمثبت لحديث ابن عباس- رضي الله عنهما- قائل بإجزاء الشاة في إقامة أصل السنة عن الغلام، وهو قول الشافعية، وإليه أميل، والله أعلم.
أما الحنفية فقد سبق في المقال السابق أنهم يرون عدم مشروعية العقيقة، وأنها منسوخة بالأضحية، فالأضحية عندهم ناسخة لكل ذبح مشروع.
قال علاء الدين أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (المتوفى: ٥٨٧هـ) في بدائع الصنائع (١٢٧/٥): «ولا يعق عن الغلام والجارية عندنا، وعند الشافعي- رحمه الله- العقيقة سنة».
هذا ما يسره الله في هذا المقال، فإن يكن صوابًا فالحمد لله وحده، وإن تكن الأخرى فأسأل الله أن يغفر لي زللي وخطئي، وأستغفر الله منه.
وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

فتاوى

هل صح حديث في فضائل شهر رجب؟

أجاب عنه فضيلة الشيخ عطية صقر رحمه الله
(رئيس لجنة الفتوى بالأزهر سابقاً)

السؤال: اتخذ كثير من الناس فضل شهر رجب ذريعة للصيام والصلاة وزيارة المقابر وأوردوا في ذلك أحاديث كثيرة، فما هو الرأي الصحيح في ذلك؟

الجواب: الحافظ أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني وضع رسالة بعنوان: تبيين العجب بما ورد في فضل رجب، جمع فيها جمهرة الأحاديث الواردة في فضائل شهر رجب وصيامه والصلاة فيه.

وقسمها إلى ضعيفة وموضوعة.

وذكر له ثمانية عشر اسما، من أشهرها "الأصم " لعدم سماع قعقعة السلاح فيه لأنه من الأشهر الحرم التي حرم فيها القتال، و"الأصب" لانصباب الرحمة فيه، و"منصل الأسنة" كما ذكره البخاري عن أبي رجاء العطاردي قال: كنا نعبد الحجر، فإذا وجدنا حجرًا هو خير منه ألقيناه وأخذنا الآخر، فإذا لم نجد حجرًا جمعنا حثوة من تراب ثم جئنا الشاء- الشياه- فحلبنا عليه ثم طفنا به، فإذا دخل شهر رجب قلنا: منصل الأسنة فلم ندع رمحًا فيه حديدة، ولا سهمًا فيه حديدة إلا نزعناه فألقيناه.

وفضل رجب داخل في عموم فضل الأشهر الحرم التي قال الله فيها: « إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ » (التوبة: ٣٦)، وعينها حديث الصحيحين في حجة الوداع بأنها ثلاثة سَرْد " أي متتالية "ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، وواحد فرد، وهو رجب "مضر" الذي بين جمادى الآخرة وشعبان، وليس رجب "ربيعة" وهو رمضان.

ومن عدم الظلم فيه عدم القتال، وذلك لتأمين الطريق لزائري المسجد الحرام، كما قال تعالى بعد هذه الآية: « فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ » (التوبة: ٥)، ومن عدم الظلم أيضا عدم معصية الله، واستنبط بعض العلماء من ذلك-دون دليل مباشر من القرآن والسنة نص عليه- جواز تغليظ الدية على القتل في الأشهر الحرم بزيادة الثلث.

ومن مظاهر تفضيل الأشهر الحرم-بما فيها رجب-ندب الصيام فيها. كما جاء في حديث رواه أبو داود عن مجيبة الباهلية عن أبيها أو عمها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له- بعد كلام طويل- " صم من الحرم واترك " ثلاث مرات، وأشار بأصابعه الثلاثة، حيث ضمها وأرسلها والظاهر أن الإشارة كانت لعدد المرات لا لعدد الأيام. فالعمل الصالح في شهر رجب كالأشهر الحرم له ثوابه العظيم، ومنه الصيام يستوي في ذلك أول يوم مع آخره، وقد قال ابن حجر: إن شهر رجب لم يرد حديث خاص بفضل الصيام فيه، لا صحيح ولا حسن.

ومن أشهر الأحاديث الضعيفة في صيامه "إن في الجنة نهرًا يقال له رجب، ماؤه أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل، من صام يومًا من رجب سقاه الله من ذلك النهر "وحديث "من صام من رجب يومًا كان كصيام شهر، ومن صام منه سبعة أيام غلِّقت عنه أبواب الجحيم السبعة ومن صام منه ثمانية أيام فتحت له أبواب الجنة الثمانية، ومن صام منه عشرة أيام بدلت سيئاته حسنات " ومنها حديث طويل جاء في

فضل صيام أيام منه، وفى أثناء الحديث "رجب شهر الله وشعبان شهري ورمضان شهر أمتي" وقيل إنه موضوع وجاء في الجامع الكبير للسيوطي أنه من رواية أبي الفتح بن أبي الفوارس في أماليه عن الحسن مرسلاً.

ومن الأحاديث غير المقبولة في فضل صلاة مخصوصة فيه "من صلى المغرب في أول ليلة من رجب، ثم صلى بعدها عشرين ركعة، يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد مرة ويسلم فيهن عشر تسليمات حفظه الله في نفسه وأهله وماله وولده، وأجير من عذاب القبر، وجاز على الصراط كالبرق بغير حساب ولا عذاب" وهو حديث موضوع، ومثلها صلاة الرغائب.

وقد عقد ابن حجر في هذه الرسالة فصلاً ذكر فيه أحاديث تتضمن النهى عن صوم رجب كله، ثم قال: هذا النهي منصرف إلى من يصومه معظمًا لأمر الجاهلية، أما إن صامه لقصد الصوم في الجملة من غير أن يجعله حتمًا أو يخص منه أيامًا معينة يواظب على صومها، أو ليالي معينة يواظب على قيامها، بحيث يظن أنها سنة، فهذا من فعله مع السلامة مما استثني فلا بأس به. فإن خص ذلك أو جعله حتمًا فهذا محظور، وهو في المنع بمعنى قوله صلى الله عليه وسلم "لا تخصوا يوم الجمعة بصيام ولا ليلتها بقيام" رواه مسلم.

وإن صامه معتقدًا أن صيامه أو صيام شيء منه أفضل من صيام غيره ففي هذا نظر، ومال ابن حجر إلى المنع. ونقل عن أبي بكر الطرطوشي في كتاب "البدع والحوادث" أن صوم رجب يكره على ثلاثة أوجه: أحدها أنه إذا خصه المسلمون بالصوم في كل عام حسب العوام، إما أنه فرض كشهر رمضان وإما سنة ثابتة كالسنن الثابتة، وإما لأن الصوم فيه مخصوص بفضل ثواب على صيام باقي الشهور، ولو كان من هذا شيء لبينه النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن دحية: الصيام عمل بر، لا لفضل صوم شهر رجب فقد كان عمر ينهى عنه. انتهى ما نقل عن ابن حجر.

هذا، وحرص الناس- والنساء بوجه خاص، على زيارة القبور في أول جمعة من شهر رجب ليس له أصل من الدين- ولا ثواب لها أكثر من ثواب الزيارة في غير هذا اليوم.

والأولى في شهر رجب أن نتذكر الأحداث التاريخية التي وقعت فيه مثل غزوة تبوك لنأخذ منها العبرة، ونتذكر تخليص صلاح الدين الأيوبي للقدس من أيدي الصليبيين (في رجب ٥٨٣هـ- ١١٨٧م) ليتوحد العرب والمسلمون لتطهير المسجد الأقصى من رأس الغاصبين.

(المفتي: الشيخ عطية صقر رحمه الله).

حكم صوم أيام مخصوصة من شهر رجب

أجابت عنه اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

السؤال الأول من الفتوى رقم (٢٦٠٨):

س: هناك أيام تصام تطوعًا في شهر رجب، فهل تكون في أوله أو وسطه أو آخره؟

ج: لم تثبت أحاديث خاصة بفضيلة الصوم في شهر رجب سوى ما أخرجه النسائي وأبو داود وصححه ابن خزيمة من حديث أسامة قال: قلت: « يا رسول الله، لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان، قال: ذلك شهر يغفل عنه الناس بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم» (أحمد (٥ / ٢٠١).

وإنما وردت أحاديث عامة في الحث على صيام ثلاثة أيام من كل شهر ((البخاري برقم (١٩٨١)، ومسلم برقم (٧٢١))، والحث على صوم أيام البيض من كل شهر وهو الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، والحث على صوم الأشهر الحرم، وصوم يوم الاثنين والخميس، ويدخل رجب في عموم ذلك، فإن كنت حريصًا على اختيار أيام من الشهر فاختر أيام البيض الثلاث أو يوم الاثنين والخميس وإلا فالأمر واسع، أما تخصيص أيام من رجب بالصوم فلا نعلم له أصلاً في الشرع. وبالله التوفيق.

الصلاةُ على رسول الله في الصلاة

(حكمها - ما يقال فيها)

رابعاً حكم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة

إعداد/ د. حمدي طه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فما يزال الحديث مستمرًا عن أحكام الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

رابعا: حكم الصَّلاة على النبيّ صَلَّى الله عَلَيْه وسَلَّم في الصَّلاة:

قَالَ الشَّافِعِيَّةُ وَالحَنَابِلَةُ: إِنَّهَا تَجِبُ فِي التَّشَهُّدِ الأَخِيرِ مِنْ كُلِّ صَلاةٍ وَبَعْدَ التَّكْبِيرَةِ الثَّانِيَةِ فِي صَلاةِ الجَنَازَةِ، وَفِي خُطْبَتَي الجُمُعَةِ، وَالعِيدَيْنِ، وَلا تَجِبُ خَارِجَ ذَلِكَ.

أَمَّا الصَّلاةُ عَلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي التَّشَهُّدِ الأَوَّلِ، فِي الصَّلاةِ الرُّبَاعِيَّةِ وَالثُّلاثِيَّةِ، فَهِيَ سُنَّةٌ فِي القَوْلِ الجَدِيدِ لِلشَّافِعِيِّ، وَهُوَ اخْتِيَارُ ابْنِ هُبَيْرَةَ، وَالآجُرِّيِّ مِنَ الحَنَابِلَةِ، وَلا تَبْطُلُ الصَّلاةُ بِتَرْكِهِ وَلَوْ عَمْدًا، وَيُجْبَرُ بِسُجُودِ السَّهْوِ إِنْ تُرِكَ. (الموسوعة الفقهية الكويتية٢٧/ ٢٣٧) (وانظر الأم للإمام الشافعي ١/ ١٤٠).

وقَالَ الحَنَفِيَّةُ، وَالمَالِكِيَّةُ: إِنَّ الصَّلاةَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي التَّشَهُّدِ الأَخِيرِ سُنَّةٌ، وَلَيْسَ بِوَاجِبٍ. أَمَّا الصَّلاةُ عَلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي التَّشَهُّدِ الأَوَّلِ فَلَيْسَ بِمَشْرُوعٍ عِنْدَهُمْ، وَبِهِ قَالَ الحَنَابِلَةُ، فَإِنْ أَتَى بِالصَّلاةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامِدًا فِي التَّشَهُّدِ الأَوَّلِ كُرِهَ، وَتَجِبُ عَلَيْهِ الإِعَادَةُ. أَوْ سَاهِيًا وَجَبَتْ عَلَيْهِ سَجْدَتَا السَّهْوِ عِنْدَ الحَنَفِيَّةِ. وَتَفْسُدُ صَلاتُهُ عِنْدَ المَالِكِيَّةِ إِنْ تَعَمَّدَ بِإِتْيَانِهَا. (الموسوعة الفقهية الكويتية ٢٧/ ٢٣٧).

قلت: بعد عرض آراء الفقهاء نرى أنهم قد اتفقوا على مشروعية الصَّلاةَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ في التشهد الأخير، وإن اختلفوا في حكمها، هل للوجوب أو الاستحباب. أما التشهد الأول (الأوسط) فقد اختلفوا في مشروعية الصَّلاةَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ فيه، وسنعرض لأدلة كل فريق ونناقشها، مع بيان الراجح منها، ونبدأ بالتشهد الأخير لأنه محل اتفاق من حيث المشروعية.

١- حكم الصَّلاة على النبيّ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّم في التشهد الأخير:

أدلة الجمهور ومناقشتها:

أ- دعوى الإجماع: سبق أن ذكرنا أن الجمهور ذهبوا إلى استحباب الصَّلاة عَلى النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ في التشهد الأخير، ونسبت طائفة من أوجبه إلى الشذوذ، ومخالفة الإجماع، منهم الطحاوي والقاضي عياض والخطابي من أصحاب الشافعي، فإنه قال: ليست بواجبة في الصلاة، وهو قول جماعة الفقهاء إلا الشافعي، ولا أعلم له قدوة. وقال الطبري والطحاوي: إنه أجمع المتقدمون والمتأخرون على عدم الوجوب، وكذلك ابن المنذر ذكر أن الشافعي تفرد بذلك. (الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ٢/ ٦٣) (جلاء الأفهام- ابن قيم الجوزية).

ونازعهم آخرون في ذلك، وقالوا: أما نسبتكم الشافعي ومن قال بقوله في هذه المسألة إلى الشذوذ ومخالفة الإجماع فليس بصحيح، وغايته أنه قول كثير من أهل العلم، فقد قال بقوله جماعة من الصحابة ومن بعدهم:

فمنهم عبد الله بن مسعود فإنه كان يراها واجبة

في الصلاة، ويقول: «لا صلاة لمن لم يصل فيها على النبي»، ذكره ابن عبد البر عنه في التمهيد، وحكاه غيره أيضًا.

ومنهم أبو مسعود البدري قال: «ما أرى أن صلاة لي تمت حتى أصلي فيها على محمد وعلى آل محمد»، ومنهم عبد الله بن عمر.

ومن التابعين أبو جعفر محمد بن علي، والشعبي، ومقاتل بن حيان، ومن أرباب المذاهب المتبوعين إسحاق بن راهويه، وله في ذلك روايتان ذكرهما عنه حرب في مسائله، وأما قوله: «قد شنَّع الناس على الشافعي المسألة جدًا»، فيا سبحان الله! أي شناعة عليه في هذه المسألة!! فأيّ كتاب خالف الشافعي في هذه المسألة؟! أم أي سنة؟! أم أي إجماع؟! ولأجل أن قال قولاً اقتضته الأدلة وقامت على صحته وهو من تمام الصلاة بلا خلاف؛ إما إتمام واجباتها، أو تمام مستحباتها». (جلاء الأفهام- ابن قيم الجوزية ٣٣٠/١) بتصرف.

وعلى ذلك فدعوى الإجماع التي ادعاها غير واحد من أهل العلم غير صحيحة.

قال الشوكاني: ودعوى الإجماع من الدعاوى الباطلة لما عرفت من نسبة القول بالوجوب إلى جماعة من الصحابة والتابعين وأهل البيت والفقهاء. (نيل الأوطار- ٣٢٠/٢).

واحتج الجمهور أيضاً بحديث ابن مسعود؛ قال ابن عبد البر في التمهيد: «ومن حجة من قال بأن الصلاة على النبي ليست فرضًا في الصلاة حديث الحسن بن الحر عن القاسم بن مخيمرة (أخذ علقمة بيدي فقال: إن عبد الله أخذ بيدي كما أخذت بيدك، فعلمني التشهد فذكر الحديث إلى قوله: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، قال: فإذا أنت قلت ذلك فقد قضيت الصلاة، فإن شئت أن تقوم فقم، وإن شئت أن تقعد فاقعد) رواه أبو داود.

قالوا: ففي هذا الحديث ما يشهد لمن لم ير الصلاة على النبي في التشهد واجبة، وإن من تشهد فقد تمت صلاته إن شاء قام وإن شاء قعد، قالوا: لأن ذلك لو كان واجبًا في التشهد لبيّن النبي ذلك وذكره. (التمهيد- ابن عبد البر ١٩٠/١٦).

قال القاضي عياض: فهذا تشهد ابن مسعود وهو الذي علمه له النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك كل من روى التشهد عن النبي صلى الله عليه وسلم لم يذكروا فيه صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وقد قال ابن عباس وجابر: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن». (الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٦٣/٢).

فثبت عن النبي- صلى الله عليه وسلم- أنه علمهم التشهد في الصلاة، وليس منه الصلاة على النبي- صلى الله عليه وسلم-، فانتفى أن يكون على المصلي فرضٌ غيرَ ما علمه النبي- صلى الله عليه وسلم. (شرح صحيح البخاري- لابن بطال ١١٤/١٠).

ورد بأن جواب ذلك من وجوه:

أحدها: حديث ابن مسعود رضي الله عنه وفيه: «فإذا قلت ذلك فقد قضيت الصلاة، فإن شئت أن تقوم فقم، وإن شئت أن تقعد فاقعد»، أن هذه الزيادة مدرجة في الحديث، وليست من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ باتفاق الأئمة الحفاظ. (المجموع للنووي ٤٣٣/٣).

الثاني: إنا نقول بموجب هذا الدليل فإن مقتضاه وجوب التشهد ولا ينفي وجوب غيره، فإنه لم يقل أحد: إن هذا التشهد هو جميع الواجب من الذكر في هذه القعدة، فإيجاب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بدليل آخر لا يكون معارضا بترك تعليمه في أحاديث التشهد، ومعنى قوله: «إذا قلت ذلك فقد تمت صلاتك»، يعني إذا ضم إليها ما يجب فيها من ركوع وسجود وقراءة وتسليم وسائر أحكامها، فاستغنى عن إعادة ذلك عليهم.

الثالث: إنكم توجبون السلام من الصلاة، ولم يعلمهم النبي صلى الله عليه وسلم إياه في أحاديث التشهد.

فإن قلتم: إنما أوجبنا السلام بقوله صلى الله عليه وسلم: «تحريمها التكبير، وتحليلها التسليم»، قيل: ونحن أوجبنا الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بالأدلة المقتضية لها؛ (جلاء الأفهام- ابن قيم الجوزية ٣٣٤/١).

واحتج الجمهور أيضاً بما صح عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صلى الله عليه وسلم- «إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ؛ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ»

(رواه مسلم).

قال العلامة ابن قدامة: «أمرنا بالاستعاذة عقيب التشهد من غير فصل، ولأن الصحابة كانوا يقولون في التشهد قولا، فنقلهم عنه النبي صلى الله عليه وسلم إلى التشهد وحده، فدل على أنه لا يجب غيره، ولأن الوجوب من الشرع ولم يرد بإيجابه» (المغني- ابن قدامة ١/ ٦١٤).

ومن حجتهم أيضًا حديث الأعمش عن أبي وائل شقيق بن سلمة عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد وفي آخره: «ثم ليتخير أطيب الكلام، أو ما أحب من الكلام».

ومن حجتهم أيضًا: حديث فضالة بن عبيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يدعو في صلاته لم يحمد الله عز وجل ولم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال النبي عليه السلام: «عجل هذا، ثم دعاه فقال له أو لغيره: إذا صلى أحدكم فليبدأ بحمد الله، والثناء عليه، ثم يصلي على النبي، ثم يدعو بما شاء».

ففي حديث فضالة هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يأمر المصلي إذ لم يصل على النبي عليه السلام في صلاته بالإعادة، فدل على أن ذلك ليس بفرض، ولو ترك فرضًا لأمره بالإعادة كما أمر الذي لم يقم ركوعه ولا سجوده بالإعادة، وقال له: «ارجع فصل فإنك لم تصل». (التمهيد- ابن عبد البر ١٦/ ١٩٢).

قال العلامة ابن قيم الجوزية: «وأجيب عن ذلك بأن عدم ذكر الصلاة على النبي في حديث ابن مسعود لا يكون معارضًا لأحاديث الوجوب، كما تقدم تقريره، وحديث فضالة حجة لنا في المسألة؛ لأن النبي أمره بالصلاة عليه في التشهد، وأمره للوجوب فهو نظير أمره بالتشهد، وإذا كان الأمر متناولا لهما فالتفريق بين المأمورين تحكم؛ فحديث فضالة إما مشترك الدلالة على السواء، فلا حجة لكم فيه، وإما راجح الدلالة من جانبنا كما ذكرناه؛ فلا حجة لكم فيه أيضًا؛ فعلى التقديرين سقط احتجاجكم به». (جلاء الأفهام- ابن قيم الجوزية ١/ ٣٤٣).

واحتج هؤلاء أيضًا بأن النبي لم يعلمها المسيء في صلاته، ولو كانت من فروض الصلاة التي لا تصح إلا بها لعلمه إياها كما علمه القراءة والركوع والسجود والطمأنينة في الصلاة. (نيل الأوطار للشوكاني- ٢/ ٣٢٠).

قال العلامة ابن قيم الجوزية: «وجوابه من وجوه:

أحدها: أن حديث المسيء هذا قد جعله المتأخرون مستندا لهم في نفي كل ما ينفون وجوبه، وحملوه فوق طاقته، وبالغوا في نفي ما اختلف في وجوبه به، وإلا فعند التحقيق لا ينفي وجوب شيء من ذلك، بل غايته أن يكون قد سكت عن وجوبه ونفيه، فإيجابه بالأدلة الموجبة له لا يكون معارضًا به.

الثاني: ما أمر به النبي من أجزاء الصلاة دليل ظاهر في الوجوب، وترك أمره للمسيء به يحتمل أمورًا منها أنه لم يسئ فيه.

ومنها أنه وجب بعد ذلك ومنها أنه علمه معظم الأركان وأهمها، وأحال بقية تعليمه على مشاهدته في صلاته أو على تعليم بعض الصحابة له؛ فإنه كان يأمرهم بتعليم بعضهم بعضًا، فكان من المستقر عندهم أنه دلهم في تعليم الجاهل، وإرشاد الضال، وأي محذور في أن يكون النبي علمه البعض وعلمه أصحابه البعض الآخر، وإذا احتمل هذا لم يكن هذا المشتبه المجمل معارضًا لأدلة وجوب الصلاة على النبي ولا غيرها من واجبات الصلاة، فضلاً عن أن يقدم عليها، فالواجب تقديم الصريح المحكم على المشتبه المجمل (جلاء الأفهام- ابن قيم الجوزية ١/ ٣٤٥).

أدلة القائلين بالوجوب ومناقشتها:

١- قوله تعالى: « إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » (سورة الأحزاب: ٥٦) قالوا: إنَّ اللهَ تعالى فَرَضَ الصَّلاةَ على نَبِيِّه صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ فَلَمْ يَكُنْ فَرْضُ الصَّلاةِ عَلَيْه في مَوْضِعٍ أَوْلَى مِنَ الصَّلاةِ عَلَيْهِ في الصَّلاةِ. وَوَجَدْنَا الدَّلالَةَ عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللهِ عَلَيْه وَسَلَّمَ بِمَا وَصَفْنَا؛ مِنْ أَنَّ الصَّلاةَ عَلَى رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ فَرْضٌ في الصَّلاةِ، لا في خَارِجِهَا فَقَدْ جَاءَ في حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللَّه عَنْهُ- أنه قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه ؛ كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ يَعْنِي في الصَّلاةِ. فَقَالَ: تَقُولُونَ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ.. الحديث (الموسوعة الفقهية الكويتية٢٧/ ٢٣٧).

وأجيب عن الآية بأن قوله: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » (الأحزاب: ٥٦) على الندب، لا على الفرض، ونحو هذا ذكر الطبري، وعلى هذا

تأويل هذه الآية. (شرح صحيح البخاري - لابن بطال ١١٤/١٠).

ولا يتم الاستدلال على وجوب الصلاة بعد التشهد بما في سائر أحاديث الباب لأن غايتها الأمر بمطلق الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وهو يقتضي الوجوب في الجملة، فليس فيها زيادة على ما في قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما».

وأما الاستدلال لوجوب الصلاة في الصلاة بما في حديث أبي هُرَيْرَةَ بزيادة: (كيف نصلي عليك إذا نحن صلينا عليك في صلاتنا)، وغاية هذه الزيادة أن يتعين بها محل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم، وهو مطلق الصلاة وليس فيها ما يعين محل النزاع وهو إيقاعها بعد التشهد الأخير. (نيل الأوطار للشوكاني- ٣٢٠/٢).

٢- قَالَ الشَّافِعِيُّ: فَلَمَّا رُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ التَّشَهُّدَ فِي الصَّلَاةِ، وَرُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَّمَهُمْ كَيْفَ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ فِي الصَّلَاةِ، لَمْ يَجُزْ- وَاللهُ أَعْلَمُ- أَنْ نَقُولَ: التَّشَهُّدُ وَاجِبٌ، وَالصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ غَيْرُ وَاجِبَةٍ، وَالْخَبَرُ فِيهِمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زِيَادَةُ فَرْضِ الْقُرْآنِ. (انظر الأم للإمام الشافعي ١٤٠/١).

وقد ثبت أن أصحابه رضي الله عنهم سألوه عن كيفية هذه الصلاة المأمور بها فقال: «قولوا اللهم صل على محمد..» الحديث. وقد ثبت أن السلام الذي عُلموه هو السلام عليه في الصلاة، وهو سلام التشهد فمخرج الأمرين والتعليمين والمحلين واحد. (جلاء الأفهام- ابن قيم الجوزية ٣٤٥/١).

وأجيب عن ذلك بأن قولهم: «يا رسولَ الله، أمَّا السَّلامُ عليك فقد عرفناه، فكيف نُصلي عليك إذا نحن صَلَّينا عليك في صلاتنا؟»، سؤال عن الكيفيَّة وليس فيه ذكْرُ الموضع، وفَرْقٌ بين أن يُعيَّنَ الموضع أو تُبيَّنَ الكيفيَّة. (الشرح الممتع على زاد المستقنع للعثيمين ٥٧/٣).

ويمكن الاعتذار عن القول بالوجوب بأن الأوامر المذكورة في الأحاديث تعليم كيفية، وهي لا تفيد الوجوب، فإنه لا يشك من له ذوق أن مَن قال لغيره: إذا أعطيتك درهما فكيف أعطيك إياه أسرًا أم جهرًا، فقال له أعطنيه سرًّا كان ذلك أمرًا بالكيفية التي هي السرية لا أمرًا بالإعطاء، وتبادر هذا المعنى لغة وشرعًا وعرفًا لا يدفع وقد تكرر في السنة وكثر فمنه: (إذا قام أحدكم الليل فليفتتح الصلاة بركعتين خفيفتين) الحديث.

وقوله في الوتر (فإذا خفت الصبح فأوتر) والقول بأن هذه الكيفية المسئول عنها هي كيفية الصلاة المأمور بها في القرآن فتعليمها بيان للواجب المجمل فتكون واجبة؛ لا يتم إلا بعد تسليم أن الأمر القرآني بالصلاة مجمل، وهو ممنوع لاتضاح معنى الصلاة والسلام المأمور بهما. (نيل الأوطار للشوكاني- ٣٢٠/٢).

٣- (واستدلوا) أيضًا بحديث فضالة بن عبيد فإن النبي قال له أو لغيره: «إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه والصلاة، ثم ليصل على النبي، ثم ليدع بما شاء»، وقد تقدم.

وأجيب عنه بأن غايته إيجاب الصلاة في مطلق الصلاة عند إرادة الدعاء فما الدليل على الوجوب بعد التشهد على أنه حجة عليهم لا لهم. وقال الإمام ابن حزم: ليس في هذا إيجاب الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في الصلاة، ولو كان ذلك كما قال له «عجلت» فليس من عجل في صلاته بمبطل فيها، بل كان يقول له: ارجع فصل فإنك لم تصل. (المحلى: ١٣٧/٤).

وما أحسن أن نختم البحث بكلام نفيس للعلامة الشوكاني حيث قال: "والحاصل أنه لم يثبت عندي من الأدلة ما يدل على مطلوب القائلين بالوجوب، وعلى فرض ثبوته فترك تعليم المسيء للصلاة لا سيما مع قوله صلى الله عليه وسلم (فإذا فعلت ذلك فقد تمت صلاتك) قرينة صالحة لحمله على الندب.

وبعد هذا فنحن لا ننكر أن الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم من أجل الطاعات التي يتقرب بها الخلق إلى الخالق، وإنما نازعنا في إثبات واجب من واجبات الصلاة بغير دليل يقتضيه مخافة من التقول على الله بما لم يقل. (نيل الأوطار- ٣٢٠/٢).

والحمد لله رب العالمين.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

إصلاح ذات البين

قال تعالى: "إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ" (الحجرات: ١٠).

من فضائل الصحابة

موقف أهل البيت من الصحابة

قال جعفر: يا سالم أيسب الرجل جده؟! أبو بكر جدي. لا نالتني شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة إن لم أكن أتولاهما، وأبرأ من عدوهما.

(سير أعلام النبلاء)

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: «قال الله- عزّ وجلّ-: المتحابّون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النّبيّون والشّهداء».

(سنن الترمذي)

من دلائل النبوة

عن أنس بن مالك، قال: إن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر مرتين.

(صحيح البخاري)

من دعائه صلى الله عليه وسلم

عن عائشة رضي الله عنها قالت: إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ: «اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار ومن عذاب النار، وأعوذ بك من فتنة القبر، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة الغنى، وأعوذ بك من فتنة الفقر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال».

(صحيح البخاري)

حكم ومواعظ

قال مالك بن دينار: «رحم الله عبدا قال لنفسه: ألست صاحبة كذا؟ ألست صاحبة كذا؟ ثمّ زمّها، ثمّ خطمها، ثمّ ألزمها كتاب الله- عزّ وجلّ- فكان لها قائدا».

(محاسبة النفس لابن أبي الدنيا)

من أقوال السلف

عن عمر بن عبد العزيز قال: «من عمل على غير علم، كان ما يفسد أكثر مما يصلح».

(شرف أهل الحديث)

إعداد/ علاء خضر

خُلق حسن فالزمه

قيل لمعاوية: من أسود النّاس (أي: السيّد الذي يُطاع في قومه) ؟ قال: أسخاهم نفسا حين يُسأل، وأحسنُهم في المجالس خُلقاً، وأحلَمُهم حين يُستجهل. (نضرة النعيم)

خلق سيئ فاحذره

قال أبو منصور: الأناة حصن السّلامة والعجلة مفتاح النّدامة.

(نضرة النعيم)

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

رجب شهر عظيم، يضاعف الله فيه الحسنات؛ فمن صام يوما من رجب؛ فكأنما صام سنة، ومن صام منه سبعة أيام؛ غلقت عنه سبعة أبواب جهنم، ومن صام منه ثمانية أيام؛ فتحت له ثمانية أبواب الجنة...... حديث موضوع

(السلسلة الضعيفة)

فضل ليلة الإسراء والمعراج

قال الشقيري: «قراءة قصة المعراج، والاحتفال لها في ليلة السابع والعشرين من رجب بدعة، وتخصيص بعض الناس لها بالذكر والعبادة بدعة، .. ولو كان خيرًا لسبقونا إليه (أي: الصحابة)، والإسراء لم يقم دليل على ليلته، ولا على شهره».

(السنن والمبتدعات)

من رقي أخلاق السلف

قال الفضيل: « والله ما يحل لك أن تؤذي كلبًا ولا خنزيرًا بغير حق، فكيف تؤذي مسلمًا »؟!

(سير أعلام النبلاء)

هل ورد في فضل شهر رجب أثر خاص؟

قال الحافظ ابن حجر في كتابه تبيين العجب بما ورد في فضل رجب: « لم يرد في فضل شهر رجب ولا في صيامه، ولا في صيام شيء منه معين، ولا في قيام ليلة مخصوصة فيه حديث صحيح يصلح للحجة ».

(السنن والمبتدعات)

دراسات شرعية

أثر السياق في فهم النص

تنوع قرائن السياق وأثره على الأحكام الفقهية

المسح على الجوربين

(الحلقة ٨٢)

إعداد/ متولي البراجيلي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فإن المسح على الجوربين من المسائل الخلافية بين أهل العلم، ما بين مجوز له بإطلاق دون أية شروط، وبين مانع له بإطلاق، وثالث مجوز له بشروط.

وسنحاول بإذن الله الوقوف على المسألة، وإيراد النصوص التي وردت فيها والنظر فيها سندًا ومتنًا، ثم استخدام قرائن السياق للترجيح.

أولاً: أسباب الخلاف:

ترجع إلى اختلاف العلماء في الأحاديث الواردة في المسح على الجوربين، وخاصة حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، وهو العمدة في هذا الباب، ثم في حجية عمل الصحابة وقولهم، على ما سنرى إن شاء الله.

ثانيا: الكلام عن المسح على الجوربين فرع من الكلام عن المسح على الخفين:

فلنمر مرورًا سريعًا على المسح على الخفين.

الخفان: هما نعلان من جلد يغطيان الكعبين (والكعبان هما العظمان الناتئان في كل ناحية من القدم).

والمسح على الخفين ثابت.

قال الإمام أحمد: «ليس في قلبي من المسح شيء، فيه أربعون حديثاً عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما رفعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وما وقفوا». (المغني لابن قدامة ٢٠٦/١).

وفي فتح الباري: «.. وقد صرح جماعة من الحفاظ بأن المسح على الخفين متواتر، ثم نقل عن الحسن البصري قوله: حدثني سبعون من الصحابة بالمسح على الخفين». (فتح الباري ٣٠٦/١).

ونقل بعض أهل العلم الإجماع على المسح على الخفين، كابن المنذر: «وأجمعوا على أن من أكمل طهارته ثم لبس الخفين وأحدث أن له أن يمسح عليهما» (الإجماع صـ ٣٥).

ثالثا: المسح على الجوربين:

الجورب: هو ما يلبسه الإنسان (رجلاً أو امرأة) في قدميه سواء أكان مصنوعًا من الصوف أو القطن أو نحوهما، (ويطلق عليه الشراب).

حكم المسح على الجوربين:

للعلماء في حكم المسح على الجوربين ثلاثة أقوال:

الأول: جواز المسح عليهما إذا كانا في معنى الخفين وذلك بشرطين:

١- أن يكون الجوربان مجلدين (يغطيهما الجلد).

٢- أن يكون الجوربان منعلين، أي لهما نعلان من الجلد، وهذا ما عليه الكثير من الفقهاء. وقالوا: لأن الجورب لا يسمى خفًا فلا يأخذ حكمه، ولم يثبت عندهم في المسح على الجوربين حديث صحيح، قال الشافعي في الأم: «إذا كان الخفان من لبود... أو ثياب فلا يكونان في معنى الخف حتى ينعلا جلدًا أو خشبًا، أو ما يبقى إذا تُوبع المشي عليه، ويكون كل ما على مواضع الوضوء منها صفيقاً لا يشف، فإذا كان هكذا مسح عليه، وإذا لم يكن هكذا لم يمسح عليه» (انظر الأم ١/٤٩).

وفي المدونة: قال ابن القاسم: «كان يقول مالك في الجوربين يكونان على الرجل وأسفلهما جلد مخروز، وظاهرهما جلد مخروز، أنه يمسح عليهما، قال: ثم رجع، فقال: لا يمسح عليهما» (١٤٣/١).

الثاني: جواز المسح عليهما بشرطين آخرين:

١- أن يكونا صفيقين (ثخينين) ساترين محل الفرض (القدمان حتى الكعبين).

٢- أن يمكن متابعة المشي عليهما، وأن يثبتا بنفسهما من غير شد، وهذا ما عليه أحمد (انظر المغني ٢١٥/١) وصاحبا أبي حنيفة، وقيل رجع لذلك أبو حنيفة في مرضه (انظر الموسوعة الفقهية ٢٧١/٣٧).

قال السرخسي في المبسوط: «وحكي أن أبا حنيفة رحمه الله تعالى في مرضه مسح على جوربيه، ثم قال لعوّاده (زواره) فعلت ما كنت أمنع الناس منه، فاستدلوا به على رجوعه (المبسوط ١٠٢/١).

الثالث: جواز المسح على الجورب وإن كان رقيقًا:

قال النووي في المجموع: «وحكى أصحابنا عن عمر وعلي رضي الله عنهما جميعًا جواز المسح على الجورب، وإن كان رقيقًا، وحكوه عن أبي يوسف ومحمد وإسحاق وداود (٥٠٠/١) ورجحه ابن عثيمين (انظر الشرح الممتع ٢٢٢/١-٢٢٣)، والظاهر أن هذا ما ذهب إليه ابن تيمية، لقوله: ولم يقيد ذلك (المسح على الخفين) بكون الخف يثبت بنفسه أو لا يثبت بنفسه، وسليمًا من الخرق والفتق أو غير سليم، فما كان يسمى خفًا ولبسه الناس ومشوا فيه مسحوا عليه المسح الذي أذن الله فيه ورسوله وكل ما كان بمعناه مسح عليه، فليس لكونه يسمى خفًا معنى مؤثر، بل لحكم يتعلق بما يلبس ويمشى فيه، ولهذا جاء في الحديث المسح على الجوربين (مجموع الفتاوى ٢٤٢/١٩).

ورجح ذلك الألباني فقال:.... والجوربان بمنزلة الخفين في المسح؛ كما قال سعيد بن المسيب وغيره كما في المحلى، فلهما حكمهما، ولا يشترط فيهما التجليد في أسفلهما، ولا أن يثبتا بأنفسهما... وعليه يجوز المسح على الجوارب الرقيقة إذا كانت مشدودة بسوار من المطاط (الأستك) كما هو المستعمل اليوم (انظر الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب صـ ١٥-١٦).

رابعًا: الأحاديث التي وردت في المسح على الجوربين:

١- عن ثوبان رضي الله عنه قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية، فأصابهم البرد، فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، أمرهم أن يمسحوا على العصائب، والتساخين (صحيح سنن أبي داود وغيره).

(والعصائب: هي العمائم، لأن الرأس يعصب بها، التساخين: الخفاف ونحوها انظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٢٤٤/٣، ٣٥٢/٢).

وجه الدلالة: هو جواز المسح على التساخين، والتساخين عامة تشمل الخفين، وتشمل كل ما قام مقامهما من تسخين القدمين كالجوارب (انظر الشرح الممتع ٢٣٣/١).

فهذا الحديث وإن كان عامًا يستفاد منه جواز المسح على الجوربين (انظر المسح على الجوربين والنعلين للقاسمي تحقيق الألباني صـ ٢٦).

٢- عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: "توضأ النبي صلى الله عليه وسلم ومسح على

الجوربين والنعلين" (صحيح سنن أبي داود وغيره).

وحديث المغيرة رضي الله عنه هو العمدة في هذا الباب كما سبق وذكرت، لذا كان لزامًا أن نتوقف بالنظر في سنده ومتنه وأقوال العلماء فيه، وقد اختلف العلماء في تصحيح هذا الحديث وتضعيفه والكثير من المتقدمين على تضعيف الحديث خلافًا للمتأخرين؛ فقد ذكر البيهقي بسنده عن أبي محمد (يحيى بن منصور)؛ رأيت مسلم بن الحجاج ضعف هذا الخبر، وقال أبو قيس الأودي، وهذيل بن شرحبيل: لا يحتملان هذا مع مخالفتهما الأجلة الذين رووا هذا الخبر عن المغيرة، فقالوا: مسح على الخفين، وذكر البيهقي عن سفيان أن الحديث ضعيف أو واه، أو كلمة نحوها.

وذكر أيضًا عن الإمام أحمد: أن الحديث لا يروى إلا من حديث أبي قيس وكذلك عن علي بن المديني؛ أن هذيل بن شرحبيل خالف الناس بقوله: ومسح على الجوربين، وعن يحيى بن معين، قوله: الناس كلهم يروونه على الخفين غير أبي قيس (انظر السنن الكبرى للبيهقي ١/٤٢٥).

وقال أبو داود: "كان عبد الرحمن بن مهدي لا يحدث بهذا الحديث؛ لأن المعروف عن المغيرة أن النبي صلى الله عليه وسلم مسح على الخفين" (سنن أبي داود ح ١٥٩).

وقال النسائي: "ما نعلم أن أحدًا تابع أبا قيس على هذه الرواية، والصحيح عن المغيرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم مسح على الخفين" (الكبرى ح ١٢٩).

وقال العقيلي: الرواية في الجوربين فيها لين (الضعفاء الكبير ٢/٣٢٧).

وقال الدارقطني في العلل (في هذا الحديث) ولم يروه غير أبي قيس، وهو مما يغمز (يعد) عليه به؛ لأن المحفوظ عن المغيرة المسح على الخفين (العلل ٧/١١٢).

وقال النووي: ".. وهؤلاء هم أعلام أئمة الحديث وإن كان الترمذي قال: حديث حسن (صحيح)، فهؤلاء مقدمون عليه، بل كل واحد من هؤلاء لو انفرد قُدِّم على الترمذي باتفاق أهل المعرفة" (المجموع ١/٥٠٠).

وصحح الحديث من أهل العلم الترمذي، فقال عقب تخريجه: حديث حسن صحيح (ح ٩٩)، وهو قول غير واحد من أهل العلم، وبه يقول سفيان الثوري، وابن المبارك، والشافعي، وأحمد، وإسحاق، قالوا: يمسح على الجوربين وإن لم تكن نعلين إذا كانا ثخينين، وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه، ح ١٩٨، وابن حبان في صحيحه ح ١٣٣٨).

وقال ابن دقيق العيد: "..ومن يصححه يعتمد بعد تعديل أبي قيس، على كونه ليس مخالفًا لرواية الجمهور مخالفة معارضة، بل هو أمر زائد على ما رووه، ولا يعارضه ولاسيما وهو طريق مستقل برواية أبي هذيل عن المغيرة لم يشارك المشهورات في سندها" (نصب الراية للزيلعي ١٨٥).

وقال ابن التركماني: "هذا الخبر أخرجه أبو داود وسكت عنه، وصححه ابن حبان، وقال الترمذي: حسن صحيح وأبو قيس عبد الرحمن ابن ثروان وثقه ابن معين، وقال العجلي: ثقة ثبت، وهذيل وثقه العجلي، وأخرج لهما معا البخاري في صحيحه... ثم قال: فيحمل على أنهما حديثان" (الجوهر النقي للتركماني ١/٢٨٥).

وقال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على الترمذي: "وليس الأمر كما قال هؤلاء الأئمة (من ضعفوا الحديث)، والصواب صنيع الترمذي في تصحيح هذا الحديث، وهو حديث آخر غير حديث المسح على الخفين، وقد روى الناس عن المغيرة أحاديث المسح في الوضوء، فمنهم من روى المسح على الخفين، ومنهم من روى المسح على العمامة، ومنهم من روى المسح على الجوربين، وليس شيء منها بمخالف للآخر، إذ هي أحاديث متعددة، وروايات عن حوادث مختلفة، والمغيرة صحب النبي صلى الله عليه وسلم نحو خمس سنين، فمن المعقول أن يشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم وقائع متعددة في وضوئه ويحكيها، فيسمع بعض الرواة منه شيئًا ويسمع غيرهم شيئًا آخر" (انظر سنن الترمذي ح ٩٩).

وقال أيضًا في مقدمة (رسالة المسح على الجوربين والنعلين للقاسمي): "العلماء جمعوا بين الأحاديث التي صحت في صفة صلاة الكسوف على أوجه متعددة، بأن هذا اختلاف وقائع، لا اختلاف رواية، مع علمهم بأن وقوع الخسوف والكسوف قليل، فأولى أن يحمل بذلك في صفة الوضوء الذي يتكرر كل يوم مرارًا".

قال القاسمي: "في حديث المغيرة، قالوا: إن فيه شذوذًا، بيانه أن المروذي قال: إن الإمام أحمد ذكر

أبا قيس، أحد رواته، فقال: ليس به بأس أنكروا عليه حديثين: حديث المغيرة في المسح، فأما ابن مهدي فأبى أن يحدث به وأما وكيع فحدث به.. (قال السندي : إن عبدالرحمن بن مهدي كان يرى الحديث ضعيفًا شاذًا، والشاذ: ما رواه المقبول مخالفًا لما هو أولى منه.

والجواب من وجوه: الأول: أن تضعيفه بما ذكر يعارضه تصحيح الترمذي له، فقد قال بعد تخريجه له في سننه: هذا حديث حسن صحيح، وهو قول غير واحد من أهل العلم، وتصحيح الترمذي مقدم على تضعيف غيره؛ لأن الترمذي من الطبقة التي تأخرت عن تلك التي وقفت على كل ما قيل فيه، ورأت أن الحق في تصحيحه، وكذا صححه ابن حبان وهو من استقرأ وسبر أيضًا".

وتعقب الألباني هذا القول: بأن الترمذي وابن حبان معروفان بالتساهل في التصحيح، ونقل عن الإمام الذهبي بأن العلماء لا يعتمدون على تصحيح الترمذي، ثم قال: ولكن الحديث صحيح الإسناد وما أعلوه به مردود، وأيد كلام الشيخ أحمد شاكر بأن هذيل بن شرحبيل الثقة الذي روى عن المغيرة المسح على الجوربين لا يجوز أن يقال: إنه خالف الثقات الذين رووا عنه المسح على الخفين إلا إذا كانت الحادثة واحدة، فحينئذ يرد حديث هذيل بالمخالفة والشذوذ لعدم إمكان الأخذ بالروايتين، ففي حديث الجماعة عنه: أنه صلى الله عليه وسلم مسح في السفر، وليس هذا في حديث هذيل، فدل ذلك على أنهما حادثتان مغايرتان وأن الجماعة (أي من روى حديث المغيرة غير هذيل) روت ما لم يرو هذيل، وهذا روى ما لم يرو الجماعة، فليس من الشذوذ بسبيل.

ورحم الله الشافعي إذ قال: "وليس الحديث الشاذ أن يروي الثقة ما لم يرو الثقات، وإنما أن يروي ما يخالف فيه الثقات"، ثم نقل كلام شيخ الإسلام منصور الحنبلي في شرح الإقناع: "وتكلم بعضهم في الحديث - أي حديث المغيرة- لأن المعروف عن المغيرة (الخفين) قال في المبدع: "وهذا لا يصلح مانعًا؛ لجواز رواية اللفظين، فيصح المسح على ما تقدم؛ أي: الجوربين).

وكذا قال العلامة ملا علي القاري في شرح المشكاة بأنه لا مانع من أن يروي المغيرة اللفظين، وقد عضده فعل الصحابة (انظر رسالة المسح على الجوربين والنعلين صـ٣٣- ٤٤).

قلت: ودعوى الشذوذ أو عدمه من المسائل الاجتهادية المختلف فيها بين أهل العلم.

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ ومسح على الجوربين والنعلين. (سنن ابن ماجه).

قال أبو داود في سننه: "روي عن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه مسح على الجوربين، وليس بالمتصل ولا بالقوي". قال السندي في حواشيه على أبي داود، قوله: "وليس بالمتصل: أي لأنهما من رواية الضحاك بن عبد الرحمن عن أبي موسى، ولم يثبت سماعه منه". وقوله: ولا بالقوي: أي لأنه من رواية عيسى بن سنان عن الضحاك، وقد ضعفه أحمد وابن معين وأبو زرعة والنسائي وغيرهم". وقال الحافظ ابن حجر: "حديث أبي موسى الذي أشار إليه أبو داود أخرجه ابن ماجه وفي إسناده ضعف وانقطاع، كما قال أبو داود". (انظر رسالة المسح على الجوربين صـ ٥١).

فالحديث فيه علتان:

١- الانقطاع: الضحاك لم يسمع من أبي موسى. قال البيهقي: الضحاك بن عبد الرحمن لم يثبت سماعه من أبي موسى (السنن الكبرى ٤٢٦/١).

وقال البوصيري في الزوائد: "الضحاك لم يسمع من أبي موسى، وعيسى ضعيف لا يُحتج به". (مصباح الزجاجة ٨٠/١).

٢- في إسناده عيسى بن سنان: ضعفه أحمد ابن حنبل، ويحيى بن معين، وقال أبو حاتم الرازي: "أبو سنان هذا ليس بقوي في الحديث (انظر الجرح والتعديل ٢٧٧/٦)، وقال أبو زرعة: مخلط ضعيف الحديث. وقال النسائي ضعيف". (انظر تهذيب التهذيب ٢١١/٨-٢١٢)، ذكره ابن حبان في الثقات (٢٣٥/٧- ٢٣٦)، وقال العجلي: لا بأس به (الثقات ٣٧٩/١)، وقال الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ح ٥٦٠: "وعلى العموم فإن متنه ورد في حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه".

وللحديث بقية إن شاء الله،
والحمد لله رب العالمين.

مَنزِلَةُ الأُمِّ فِي الإِسلامِ

إعداد/ د. عماد عيسى
المفتش بوزارة الأوقاف

الحلقة الثالثة

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا وحده لا شريك له، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فما يزال حديثنا مستمرًا عن منزلة الأم في الإسلام، وقد ختمنا حديثنا في العدد السابق عن سبل التربية العملية على البر، وكيف نربي أولادنا على البر؟ ونكمل في هذا العدد فنقول وبالله تعالى التوفيق

ثانيًا: إيجَادُ القُدْوَةِ:

التَّرْبِيَةُ بِالْقُدْوَةِ مِنْ أَعْظَمِ وَسَائِلِ التَّرْبِيَةِ نَفْعًا وَمِنْ أَكْثَرِهَا فِي النُّفُوسِ وَقْعًا، وَلِهَذَا كَانَتْ دَعَوَاتُ أَنْبِيَاءِ اللهِ وَرُسُلِهِ مَبْنِيَّةً عَلَى هَذَا النَّوْعِ من التربيةِ، فإذا بعث الرسول إليهم متمتعًا بصفات جيدة رائقة ونعوت حسنة فائقة اقتدى به أتباعه ونسجوا على منواله واغترفوا من بحره العذب النمير بلغوا في النهى النِّهَايَةَ وَأَدْرَكُوا مِنَ الْخُلُقِ الْحَسَنِ الْغَايَةَ.

وما أجمل قول الشاعر في تصويره أثر الاقتداء:

مَشَى الطاووسُ يوماً باعْوجاجٍ
فقلدَ شكلَ مِشْيتهِ بنوهُ
فقالَ علامَ تختالونَ؟ قالوا:
بدأتَ به ونحنُ مقلّدُوهُ
فخالِفْ سيرَكَ المعوجَّ واعدِلْ
فإنّا إن عدلْتَ معدّلُوهُ
أمَا تدري أبانا كلُّ فرعٍ
يجاري بالخُطى من أدَّبُوهُ؟!
وينشأُ ناشئُ الفتيانِ منا
على ما كان عوَّدَه أبُوهُ

وَمِمَّا صَرَّحَ بِهِ الْقُرْآنُ فِي هَذَا الشَّأْنِ الاقْتِدَاءُ بِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: « لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا » (الأحزاب: ٢١).

وقوله تعالى في إبراهيم: « قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ » (الممتحنة: ٤) إلى قوله تعالى: « لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ » (الممتحنة: ٦).

وينبغي أن تبدأ التربية بالقدوة من الوالدين بأن يكون البر خُلقًا راسخًا فيهما فيقتبس الولد بلا عناء أو إيصاء؛

وذلك بأن يظهر الوالد الوقار لأبيه أمام أولاده فيعتادون البر بغير كلفة ولا مشقة ويرثونه أصلاً عن فرع لا عن كلالة، وأن يجعل بين أولاده وبين العقوق حجابًا غليظًا لا تبليه الأيام والليالي ويضرب بينهم وبينه سورًا عاليًا من البر ليس له باب لا يستطيعون أن يظهروه ولا يستطيعون له نقبًا.

أما أن يعق المرء والديه ويكون بعيدًا من البر صفر اليدين منه ثم ينتظر البر من أولاده فإن هذا حاله كحال من يزرع الحنظل ليجني منه الأترج أو التمر فأنى يكون له ما يريد؟!

ثالثًا: الدعاء بصلاح الذرية

وهذا أمر ذو بال بل في غاية الأهمية فإن الذرية التي تكون صالحة تعمل بالبر ولا تقصر فيه، بل تبذل الغالي والنفيس في بر الوالدين خاصة الأم بعد لقاء الله وانتهاء الحياة بتمام العدة وانقضاء المدة فضلاً عن برهما في حياتهما.

إن الذرية البارة هي الصالحة وإلا فقل لي بربك هل رأيت أولادًا صالحين يعقون الآباء والأمهات؟!

إن الدعوات بصلاح الذرية كان يشغل بال الأنبياء والصالحين من عباد الله وإمائه، فإنهم يعلمون أن الدعاء له الأثر البالغ في صلاح الأبناء فاقتدِ بهم (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ) (الأنعام: ٩٠)، أسأل الله أن يتولانا بما هو أهله.

وهذه نماذج من ذلك:

الخليل إبراهيم عليه السلام:

لقد كان الخليل إبراهيم عليه السلام معتنيًا بهذا الأمر لهذا تجد دعواته لذريته بالصلاح في مواضع كثيرة من كتاب الله تعالى.

قال تعالى: « وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (البقرة: ١٢٤).

وفي سورة إبراهيم دعا إبراهيم عليه السلام بدعوات جليلة تفيض شعورًا كبيرًا بقيمة صلاح الولد.

قال تعالى: « وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٨﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ » (إبراهيم: ٣٥- ٤٠).

وقال تعالى: « رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ » (الصافات: ١٠٠- ١٠٧).

زكريا عليه السلام:

حيل بين زكريا عليه السلام وبين ما يشتهي من الولد زمنًا طويلاً حتى وهن عظمه واشتعل رأسه شيبًا وبلغ من السن مبلغًا لا يصلح لإنجاب الولد إذ لم يبق فيه لقاح ولا جماع.

غير أن الله تعالى أراد أن يضرب المثل للناس لعلهم يتفكرون، فرزق زكريا بيحيى في هذه السن الكبيرة التي خارت معها قواه واضطرم شعر رأسه شيبًا مع

كون امرأته كانت عاقرًا.

قال تعالى: « هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ (٣٨) فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ (٣٩) قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ (٤٠) قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ » (آل عمران: ٣٨- ٤١).

وفي سورة مريم يعبر السياق عن إلحاح زكريا على ربه تعالى أن يهب له الولد الذي يحمل رسالته ودعوة النبوة من بعده ويرث من العلم والنبوة.

قَالَ بَعْضُ السَّلَف: قَامَ مِنَ اللَّيْل، عَلَيْه السَّلاَمُ، وَقَدْ نَامَ أَصْحَابُهُ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّه يَقُولُ خُفْيَةً: يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ فَقَالَ اللهُ: لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ. (تفسير ابن كثير: ٥/٢١١).

وقال تعالى: « إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا (٣) قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤) وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا (٥) يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (٦) يَـٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا (٧) قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا (٨) قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا (٩) قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَـٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا (١٠) فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا » (مريم: ٢- ١١).

امْرَأَةُ عِمْرَانَ:

وهذه امرأة عمران تعوذ مريم وذريتها من الشيطان وإغوائه فتقول: « رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (٣٥) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ٱلرَّجِيمِ » (آل عمران: ٣٥- ٣٦).

فكيف كانت العاقبة؟ رزقها الله بمريم التي جعلها وابنها آية في الخلق وآية في العلم والعمل؛ قال تعالى: « وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَـٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ » (المؤمنون: ٥٠).

قال ابن كثير: "يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ عَبْده وَرَسُوله عيسَى ابْن مَرْيَمَ، عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ، أَنَّهُ جَعَلَهُمَا آيَةً لِلنَّاس: أَيْ حُجَّةً قَاطِعَةً عَلَى قُدْرَته عَلَى مَا يَشَاءُ، فَإِنَّهُ خَلَقَ آدَمَ مِنْ غَيْر أَب وَلاَ أُمٍّ، وَخَلَقَ حَوَّاءَ مِنْ ذَكَر بِلاَ أُنْثَى، وَخَلَقَ عيسَى مِنْ أُنْثَى بِلاَ ذَكَر، وَخَلَقَ بَقِيَّةَ النَّاس مِنْ ذَكَر وَأُنْثَى". (تفسير ابن كثير: ٥/٤٧٦).

وذلك لأن الله تقبل دعوة المرأة الصالحة امرأة عمران وأنبت مريم على طريقة حسنة وأنشأها على الصلاح والولاية « فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَـٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ » (آل عمران: ٣٧).

ومن جملة دعوات عباد الرحمن بصلاح الذرية في خواتيم الفرقان قوله تعالى: « وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا » (الفرقان: ٧٤).

فأين هذا من أناس يدعون على أولادهم ليس لأنها فلتة لسان عند سورة غضب بل هي عادة لازمة في بعض الأمهات وصفة ثابتة لدى بعض الآباء ونعوذ بالله من الشقاء.

نَصيحَةٌ:

كُنْ بَارًّا بأُمِّكَ فَإِنَّ الْبِرَّ بِهَا مِفْتَاحُ الْخَيْرِ كُلِّه وَهَلْ أَفْلَحَ إِلاَّ مَنْ كَانَ بِهَا بَارًّا؟!

لقد كان جريج الراهب عابدًا منقطعًا ومع ذلك ما أغنت عنه عبادته مما دعت عليه به أُمُّه، وَمَا حَجَبَتْ عَنْهُ غَائِلَةَ دَعْوَتِهَا، وَلاَ رَدَّتْ عَنْهُ أَثَرَ غَضْبَتِهَا بَلْ أَدْرَكَتْهُ وَهُوَ فِي العوالي حيث كانت صومعته، فهل يأمن مفرط ظالم لنفسه أو حتى مقتصد أو سابق بالخيرات أن يصيبه ما أصاب جريجًا؟!

إنَّ الْجِيلَ الَّذِي يُعْوِزُهُ بِرُّ الأمِّ لَجِيلٌ غَيْرُ مُحَافِظٍ عَلَى قِيَمِ أُمَّتِهِ وَأَخْلاَقِ مِلَّتِه، يُشْفَقُ عَلَيْه وَيُشْفَقُ مِنْهُ؛ إِذْ إِنَّهُ نَصَبَ نَفْسَهُ لسِهَامِ الرَّاشِقِينَ وَغَرَضًا لأَسِنَّةِ الطَّاعِنِينَ فَإِنَّ بِضَاعَتَهُ بِضَاعَةُ عَاقٍّ وَسِلْعَتَهُ سِلْعَةُ مُشَاقٍّ يحْمِلُ الضِّغْنَ وَضِيقَ الْعَطَنِ نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الْخِذْلاَنِ.

فإياك والتهاون في ما وجب عليك من بر والدتك وفيما وجب عليك أيضًا من تنشئة أولادك على البر فلا تتمار بالنذر، فإننا في زمان ما يذهب فيه قلما يعود وما يفوت قد لا يُدرك وما يغدو قد لا يروح.

وَكَمْ من امْرِئٍ يَنَامُ ملْءَ عَيْنَيْهِ وَيَضْحَكُ ملْءَ شَدْقَيْهِ وَهُوَ عَنِ الْبِرِّ بِأُمِّه غَافِلٌ لاَهٍ إذ إن البر فاته في صغره فعز عليه تحصيله في كبره وكأَنَّ على قَلْبِه أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهَ أَوْ على عَيْنِه غشاوةً أَنْ يُبْصِرَ، وَمَا أَظُنُّ وَاللهِ مَنْ شَمَّ رَائِحَةَ الْفَهْمِ أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ.

فَاسْلُكْ سَبِيلَ الْبِرِّ فَإِنَّهُ سَبِيلُ كُلِّ صَالِحٍ، وَانْضَحْ عَنْهُ وَارْمِ مِنْ وَرَائِهِ بِالْكَلِمَاتِ النَّيِّرَةِ وَالْحُجَجِ الْبَيِّنَةِ، وَانْصَحْ كُلَّ عَاقٍّ وَعَاتِبْهُ عَسَى أَنْ يَرْجِعَ، وَلاَ بَأْسَ بِالْعِتَابِ إِذَا قُصِدَ بِهِ الإِصْلاَحُ وَالْخَيْرُ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

وَفِي الْعِتَابِ حَيَاةٌ بَيْنَ أَقْوَامٍ (تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة: ص ١٣).

إذا ذهب العتاب فليس ود
ويبقى الود ما بقي العتاب

احْرِصْ عَلَى الظَّفَرِ بِمَا تَسْتَطِيعُ مِنَ الْبِرِّ قَدْرًا وَحَظًّا، وَخُذْ بِهِ فِعْلاً وَلَفْظًا، وَتزود منه بالجم الغفير، وانهل من بحره العذب النمير، وارتع في روضة منه وغدير، واستعن على ذلك بالدعاء والحرص على تحصيله؛ واجعل شعارك في البر " أن امشوا واصبروا... إن هذا لشيء يراد"، ولو أعانك عليه قوم آخرون فلا تثريب عليك فالمؤمن بإخوانه وهو مرآة أخيه، والمؤمن للمؤمن كاليدين تغسل إحداهما الأخرى.

أحي من البر ما تستطيع ولك أجر القدوة إذا اقتدى بك مقتد أو تأسى متأسٍّ، ولعلك تُكتب فيمن أحيا هذه الأخلاق بعد أن عادت أعلامها إلى الدروس لما غلب عليها من هوى النفوس.

إنَ الأَمْرَ إِدٌّ، وَالْخَطْبَ جِدٌّ، وَطَرِيقَ الْبِرِّ مُتْعِبٌ وَمُكِدٌّ، لاَ سِيَّمَا بَعْدَ أَنْ صَارَ الْبِرُّ خُلُقًا مَطْوِيًّا، وَبَاتَ نَسْيًا مَنْسِيًّا؛ فَأَحْيِ مِنْهُ مَا كَانَ مُنْدَرِسًا، وَذَكِّرْ بِمَا أَصْبَحَ مِنْ مَعْلَمِه مُنْطَمِسًا؛ فَإِنَّ مَنْ أَحْيَا سُنَّةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

فَاسْمَعْ لِنُصْحِي وَلاَ تَشْغَلْكَ الشَّوَاغِلُ أَوْ تَصْرِفْكَ الصَّوَارِفُ فَتَنْدَمَ وَلاَتَ مَنْدَمٍ.

إنِّي منحتُك يا أَخيَّ وصيَّتي
فَاسمَعْ لقَوْل أخ عَلَيْكَ شَفيق

اللهم اجْعَلْ بِرَّنَا حِجَاباً لَنَا مِنَ النَّارِ وَجُنَّةً لنَ مِنَ دَارِ الْخَسَارِ وَالْبَوَارِ، وَأَدْخِلْنَا بِفَضْلِكَ وَجُودِكَ الْجَنَّةَ فإنها أعظم المنة «فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ» (آل عمران: ١٨٥)، اللهم إنا نسألك قولاً بالحق وعملاً به وطلبًا للبرِّ وانتهاءً إليه، ونعوذ بك أن يستحوذ علينا الباطل دون الحق.

باب العقيدة

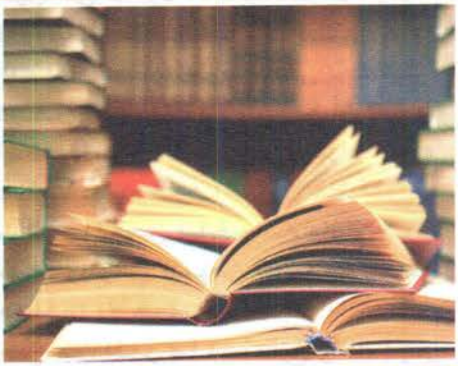

التوحيد عند أهل السنة والجماعة

إعداد/ د. عبد الله شاكر

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فمع مبحث جديد من مباحث العقيدة، ألا وهو مبحث التوحيد عند أهل السنة والجماعة، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

أقسام التوحيد عند أهل السنة والجماعة:

التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أنواع، وهذه القسمة استقرائية، دلت عليها النصوص.

يقول الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي (رحمه الله): دلَّ استقراء القرآن العظيم على أن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: توحيده في ربوبيته، وهذا النوع جُبلت عليه فطر العقلاء.

الثاني: توحيده (جل وعلا) في عبادته، وضابط هذا النوع من التوحيد هو تحقيق معنى لا إله إلا الله، وهي متركبة من نفي واثبات.

الثالث: توحيده (جل وعلا) في أسمائه وصفاته.

توحيد الربوبية:

(أ) معنى الرب لغةً، وتعريف توحيد الربوبية شرعًا:

الرب لغة: يأتي لعدة معان، منها: المربي، والمالك. يقال: رب كل شيء يعني: مالكه، ومستحقه، أو صاحبه.

الربوبية شرعًا: هو الاعتقاد والاعتراف والإقرار الجازم بأن الله وحده رب كل شيء ومالكه، وخالق كل شيء ورازقه، وأنه سبحانه المحيي والمميت، والنافع والضار، المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار، الذي له الأمر كله، وبيده الخير كله، وإليه يرجع الأمر كله، ليس له سبحانه في ذلك شريك أبدًا.

(ب) بعض الأدلة الشرعية على توحيد الربوبية:

القرآن الكريم مليء بذكر الأدلة الشرعية على ربوبية الله عز وجل ومن ذلك قوله تعالى: «ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ» (الفاتحة: ١)، وقوله (جل ذكره): «إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» (البقرة: ١٦٤).

(جـ) دلالة الفطرة على توحيد الربوبية:

هذا النوع من التوحيد -أي: توحيد الربوبية- جُبلت عليه فطر العقلاء؛ فالله عز وجل فطر خلقه على الإقرار بربوبيته، وأنه الخالق الرازق، المحيي المميت، قال رب العالمين سبحانه: « فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ » (الروم: ٣٠)، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم في سنته كما في «الصحيحين»، وغيرهما من رواية أبي هريرة رضي الله عنه: «كل مولود يولد على الفطرة» أي: الإيمان بوجود الله- تبارك وتعالى- ثم إذا كفر أو ألحد وخرج؛ فهذا بسبب البيئة التي غيرته؛ ولذلك قال عقب ذلك صلى الله عليه وسلم: «فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه».

وقد حكى الله عز وجل عن المشركين أنهم يقرون بهذا النوع من التوحيد فقال: « وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ » (العنكبوت: ٦١)، وقال تعالى: « وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ » (الزخرف: ٨٧).

(د) موقف المشركين من توحيد الربوبية، وهل يكفي وحده في الدخول في الإسلام؟

هذا التوحيد كما أقرَ به المشركون الذين بُعث فيهم رسول الهدى والرحمة صلى الله عليه وسلم كذلك أقرت به سائر الأمم، إمَّا ظاهرًا وباطنًا، أو باطنًا فقط، وفرعون الذي أنكره ظاهرًا أقر به باطنًا، وقد ذكر ذلك رب العالمين عنه في كتابه فقال: «وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ » (النمل: ١٤)، أي: جحدوا بحقيقة واضحة وهي ربوبية رب العالمين سبحانه، ولكن قلوبهم متيقنة غاية اليقين بغير ذلك، متيقنة بأن الله ربهم وخالقهم ومالكهم ورازقهم.

ولهذا أقول: إن هذا التوحيد مع أنه فطري في النفوس والقلوب، وجبلت عليه كذلك، وقد أقر به المشركون، وسائر طوائف الأرض، ومن أنكره فقد أنكره في الظاهر فحسب. فنقول بعد ذلك: لا يكفي هذا التوحيد وحده في الدخول في الإسلام، وصاحبه -أي: من أقر بأن الله الخالق الرازق- ولكنه لم يعبد ربه ومولاه، ولم يصرف إليه أنواع العبادة لا يكون بذلك موحدًا، ولا يدخل بذلك في الإسلام.

وقد قاتل النبي صلى الله عليه وسلم المشركين، وقد سبق أن قررنا أنهم أقروا بربوبية الله- تبارك وتعالى- ولكنه قاتلهم في بدر وغيرها، وقطع رقابهم، ونعتهم بالمشركين؛ لأنهم صرفوا عبادتهم لغير الله تعالى مع قولهم: إن الله خالقهم ورازقهم، وما إلى ذلك، وهذا يبين لنا إذا أهمية توحيد العبادة، ووجوب صرف العبادة لله وحده دون سواه.

توحيد الأسماء والصفات:

(أ) الأسس التي يقوم عليها هذا التوحيد:

يقوم هذا النوع من التوحيد على أسس ثلاثة:

الأول: أن أسماء الله عز وجل وصفاته كلها توقيفية لا يجوز إطلاق شيئ منها على الله في الإثبات أو في النفي إلا بإذن من الشرع، فلا نثبت لله سبحانه من الأسماء والصفات إلا ما أثبته هو لنفسه أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم ولا ننفي عنه كذلك من الأسماء والصفات إلا ما نفاه هو عن نفسه أو نفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم وما لم يصرح الشرع بإثباته ولا بنفيه؛ يجب التوقف فيه حتى يُعلم ما يراد به، فإن أريد به معنى صحيحٌ موافقٌ لما جاء به النص؛ قبل وإلا وجب رده.

الثاني: أن الله عز وجل في كل ما ثبت له من الأسماء والصفات لا يماثل شيئًا من خلقه ولا يماثله شيء، بل كل ما ثبت له من صفات الكمال التي وردت بها النصوص الصريحة من الكتاب والسنة فهو مختص به، لا يشركه فيه أحد من خلقه، وليس معنى هذا أن ما يطلق على الرب أو على صفاته من أسماء لا يسمى به غيره، فقد يكون الاسم مشتركا بينه وبين غيره أو بين صفته وصفة غيره، ولكن هذا الاشتراك في الاسم لا يوجب مماثلة المخلوقين له فيما دلت عليه هذه الأسماء.

ونضرب على ذلك مثالاً: تسمية الله- تبارك وتعالى-بأنه عالم وتسمية العبد أيضا بأنه عالم، لا يوجب ذلك مماثلة علم الله لعلم العبد، وكذا تسميته تعالى مريدًا وحيًّا، وسميعًا وبصيرًا ومتكلمًا، إلى غير ذلك من الأسماء التي قد تطلق على المخلوقين، لا يوجب أن تكون إرادتهم كإرادته ولا حياتهم كحياته، فعلم الله مثلاً علم شامل واسع محيط: «وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا » (الأنعام: ٨٠)، أما علم الإنسان فهو

علم قاصر محدود.

الثالث: أن صفات الله سبحانه كلها كمال، فهو موصوف سبحانه بصفات الكمال التي لا غاية وراءها، بريء من سمات النقص والاحتياج والحدوث، والواجب أن يثبت له (تبارك وتعالى) أقصى ما يمكن من الأكملية؛ بحيث لا يكون هناك كمال عار عن النقص إلا وهو ثابت له يستحقه بكمال ذاته، ويتنزه عن الاتصاف بضده، وضابط ذلك: أن كل كمال ثبت للمخلوق وأمكن أن يتصف به الخالق؛ كان الخالق أولى به، وكل نقص تنزه عنه المخلوق؛ فالخالق أولى بالتنزه عنه.

(ب) الأدلة على ثبوت الصفات لله- تبارك وتعالى-:

إن هذه الأدلة التي استدل بها أهل السنة والجماعة، وسلف هذه الأمة على ثبوت الصفات لله عز وجل أدلة قوية للغاية. وبيانها كالتالي:

الأول- وهو الأقوى-: أن نصوص الكتاب والسنة كلها متضافرة على الإثبات، ولم يرد فيهما نص واحد يدل على النفي، يعرف ذلك كله من له إلمام بتلك النصوص المتعلقة بالصفات، والنصوص الواردة في النفي هي نفي ما لا يمكن أن يكون لله (تبارك وتعالى)، وهذا النفي يتضمن ثبوت كمال ضده؛ لأن النفي المحض لا خير فيه ولا بركة ولا يوجد في كتاب الله، ولا يوجد في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الثاني: أن القرون الثلاثة الأولى التي هي خير القرون، بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مضت، وكلام السلف في الإثبات بلا تأويل، فلم يرد عن واحد منهم ما يدل لا نصًا ولا ظاهرًا على أنه أول آية من آيات الصفات، أو قال: إن ظاهر معناها مستحيل على الله، ولا شك أن هؤلاء السلف هم أكمل الأمة علمًا وإيمانًا، وإجماعهم حجة قاطعة؛ فإنه لا يجتمعون على ضلالة، وإذا اختلفوا فالحق لا يخرج عنهم.

توحيد الإلوهية:

(أ) تعريف كلمة «إله» وتعريف توحيد الإلوهية:

يجب أن يعلم أن توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، هما من جنس واحد، فتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات ليس عمليًا كتوحيد الإلوهية، فتوحيد الإلوهية توحيد عملي فيه أمر بفعل يصرف لله عز وجل أو فيه نهي عن فعل يترك لأجل الله- تبارك وتعالى- ولهذا فتوحيد الإلوهية من أعظم وأشرف أنواع التوحيد، ولما قصر المشركون عنه لم يثبت لهم إسلام، ولم يدخلوا في الإيمان.

تعريف كلمة «إله»: يقال في اللغة: أَلَهَ إلاهة وأُلوهَةً وألوهية أي: عبد عبادةً، وتوحيد الإلوهية: أي: توحيد العبادة. والإله بمعنى مألوه أي: معبود، وأَلَهَهُ: اتخذه إلهًا، أي: معبودًا، وكل ما اتخِذَ معبودًا فهو إله عند متخذيه.

تعريف توحيد الإلوهية:

عرَّف العلماء توحيد الإلوهية: بأنه إفراد الله تعالى بجميع العبادة الظاهرة والباطنة قولاً وعملاً، ونفي العبادة عن كل ما سوى الله- تبارك وتعالى- كائنًا ما كان.

(ب) منزلة توحيد الإلوهية بين أنواع التوحيد:

هذا التوحيد هو أول دعوة الرسل (عليهم الصلاة والسلام) فمن أجله أرسلت الرسل، كما قال تعالى: « وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ » (النحل: ٣٦).

وبهذا التوحيد أنزل الله الكتب كما قال تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ » (الأنبياء: ٢٥)، وهذا التوحيد هو الفارق بين الموحدين والمشركين؛ وعليه يقع الثواب أو العقاب في الدارين.

فلو أن رجلاً من الناس مثلاً يؤمن بأن الله عز وجل هو الخالق المالك المدبر لجميع الأمور، وأنه عز وجل المستحق لما يستحقه من الأسماء والصفات، لكن يعبد مع الله غيره لن ينفعه إقراره بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات، وكذا لو صرف شيئًا من العبادة لغير الله عز وجل لأن الله عز وجل يقول: «إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ » (المائدة: ٧٢).

(جـ) العلاقة بين توحيد الإلوهية وتوحيد الربوبية:

يكثر في كلام علماء أهل السنة (رحم الله أمواتهم وحفظ أحياءهم) ذكر علاقة الاستلزام والتضمن بين نوعي التوحيد هذين -أي: الإلوهية والربوبية- ومن كلامهم قول العلامة ابن القيم رحمه الله في قوله: والإلهيات التي دعت الرسل أممهم إلى توحيد الرب بها هي العبادة والتأليه، ومن لوازمها توحيد الربوبية الذي أقر به

المشركون؛ فاحتج الله عليهم به، فإنه يلزم من الإقرار به الإقرار بتوحيد الإلهية.

وهنا نص- رحمه الله تعالى- على أنه يلزم من توحيد الربوبية عبادة الله- تبارك وتعالى- وحده دون سواه.

فتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الإلوهية، فمن أقر بالأول لزمه الثاني؛ أي: من عرف أن الله عز وجل ربه وخالقه ومدبر أموره، وقد دعاه هذا الخالق إلى عبادته وحده؛ وجب عليه أن يعبده وحده لا شريك له، فإذا كان هو الخالق الرازق النافع الضار وحده، لزم إفراده بالعبادة، والله عز وجل كثيرًا ما يستدل على المشركين المقرين بتوحيد الربوبية بهذا، يعني: أنه يلزمهم عبادة الله وحده؛ طالما أنهم أقروا بربوبية الله سبحانه.

ومن ذلك مثلاً ما جاء في قوله تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ (٢١) ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ » (البقرة: ٢١، ٢٢)، وكما كان توحيد الربوبية يستلزم توحيد الإلوهية، فإن توحيد الإلوهية يتضمن توحيد الربوبية.

وأعظم الغلط إنما حصل من جهة الانحراف في فهم مدلول كل من توحيد الربوبية وتوحيد الإلوهية؛ فليس أحدهما هو الآخر، والفروق بينهما كثيرة جدًا.

الفرق الأول: في الاشتقاق اللغوي: فالربوبية مشتقة من اسم الرب، والإلوهية مشتقة من لفظ الإله.

الفرق الثاني: في التعريف: فتوحيد الربوبية: إفراد الله بأفعاله من خلق ورزق وإحياء وإماتة، وإعطاء، ومنع، وضر، ونفع وغير ذلك، وتوحيد الإلوهية: إفراد الله بأفعال عباده من صلاة، وزكاة، وصيام، وخشية، ورجاء، ومحبة، وخوف، وتوكل.

الفرق الثالث: في الكفاية: فتوحيد الربوبية لا يكفي وحده في دخول الإسلام، أما توحيد الإلوهية فيكفي وحده؛ لأن من أتى بتوحيد الإلوهية فقد أتى ضمنًا بتوحيد الربوبية؛ لأنه يستحيل أن يعبد إنسان ربه ومولاه وهو لا يعتقد أن الله خالقه ورازقه؛ لذلك من قال: لا إله إلا الله؛ فقد أتى بجميع أنواع التوحيد.

الفرق الرابع: في الإقرار: فتوحيد الربوبية أقر به المشركون، وتوحيد الإلوهية رفضه المشركون ولم يؤمنوا به، وعبدوا آلهة أخرى، وقالوا: « مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ » (الزمر: ٣)، ولما طلب منهم أن يعبدوا الله وحده قالوا ما حكاه الله عنهم: « أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ » (ص: ٥).

الفرق الخامس: في اللزوم والتضمن: فتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الإلوهية، فمن أتى بتوحيد الربوبية؛ لزمه أن يأتي بتوحيد الإلوهية. أما توحيد الإلوهية فإنه متضمن لتوحيد الربوبية، فمن جاء بتوحيد الإلوهية فقد أتى ضمنًا بتوحيد الربوبية.

(د) أساليب القرآن الكريم في الدعوة إلى توحيد الإلوهية:

يسلك القرآن الكريم إلى هذا المطلب الأعظم أساليب متعددة؛ أهمها ما ذكرناه من آيات الربوبية الدالة على الخلق والتدبير، والحفظ والرعاية والإحسان والرحمة، وإلى غير ذلك مما جاء فيها من آيات ترشد وتشير إلى ربوبية رب العالمين سبحانه على خلقه من خلال ما ذكره سبحانه.

ومن أساليب القرآن في الدعوة إلى توحيد الإلوهية أيضًا: التنديد بما يتخذه الناس آلهة من دون الله، وإظهار حالها من العجز الشنيع، والفقر البالغ، والغفلة عمن يدعوها ويفزع إليها، كقوله: « أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ (١٩١) وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ (١٩٢) وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمۡۚ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ (١٩٣) إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ (١٩٤) أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ » (الأعراف: ١٩١-١٩٥).

فتوحيد الإلوهية أهم أنواع التوحيد، وعلى المسلم أن يفقهه، وأن يتعلمه، وأن لا يشرك مع الله أحدًا.

نسأل الله أن يرزقنا سلامة المعتقد حتى نلقاه على لا إله إلا الله محمد رسول الله، وإلى لقاء قريب، والحمد لله رب العالمين.

مسألة علوّ اللّه واستوائه على عرشه عند المتكلمين وأهل الحديث

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وارض اللهمَّ عن سادتنا أبي بكر وعمر وعثمان وعلي.. وبعد:

فإن المعركة بين العقلانيين وأهل الشريعة معركة قديمة جديدة، فكما يهاجم العلمانيون والليبراليون اليوم الشريعة وأهلها ويزعمون ويدعون أن الركون والاحتكام إليها فيه إهانة للعقل ومضيعة له، ركب جواد العقل قديمًا مبتدعة المتكلمين، فعندما أنكر بعض المتكلمين علو الله تعالى واستواءه على عرشه، وقالوا إنه في كل مكان، رد عليهم أهل الحديث بأدلة دامغة شرعية وعقلية من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، مبينين أن الله تعالى بذاته في السماء، مستو على عرشه، بكيف يعلمه سبحانه، يتناسب مع جلاله، نؤمن به كما أخبرنا ربنا جل وعلا.

أولا: احتجاج أهل الحديث بالقرآن الكريم في إثبات صفة العلوّ:

يقول أحد الباحثين: "ينكر أهل الكلام صفة العلو؛ ولذلك أوَّلوا جميع الآيات والأحاديث المثبتة للفوقية، وصرفوا معناها إلى علو القدر والمكانة وفوقية القهر والقدرة ونحو ذلك من التأويلات المنافية لسياق الكلام"، ومن هنا ردَّ أصحاب الحديث على مبتدعة المتكلمين زعمَهم الباطل، واحتجوا عليهم بآيات كثيرة تنقض ما زعموه، منها قوله تعالى: «وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ» (الزمر: ٧٥)، و«ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا» (الفرقان: ٥٩)، و«ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ» (طه: ٥).

ولقد ردَّ أهل الحديث على المتكلمين ما يحتجون به بأدلة من القرآن الكريم، فعندما زعموا أن الله تعالى بذاته في كل مكان، واحتجوا بقوله تعالى: «أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ

إعداد/ د. جمال عبد الناصر

دكتوراه في الفلسفة الإسلامية والعقيدة

صحفي وباحث بجريدة الأهرام

رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ» (المجادلة: ٧)؛ كان رد أصحاب الحديث عليهم أن بينوا أن معنى الآية هو أن الله تعالى مع كل نجوى، ومع كل إنسان بعلمه وبصره، وهو فوق عرشه؛ لأن علمه مُحيطٌ بالبشر، وبصرَه نافذٌ فيهم؛ وليس معناه أنه تعالى معهم بذاته في الأرض، وعابوا عليهم جهلهم بالآية، فأخذوا بوسطها وأغفلوا فاتحتها وخاتمتها، فهي قد فُتحت بالعلم أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله يَعْلَمُ، وخُتمت به إنَّ الله بكُلِّ شَيْءٍ عَليمٌ، ومما يُثبت أن المقصود بالآية العلم، لا أنه تعالى بذاته في كل مكان، أن آيات قرآنية كثيرةً ذكرتْ أن الله تعالى عالٍ مستوٍ على عرشه.

ثم احتج المتكلمون بقوله تعالى: «وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ» (الزخرف: ٨٤)، لتأكيد زعمهم أن الله تعالى بذاته في كل مكان؛ فردَّ عليهم المحدِّث ابن قتيبة، مبينًا أن مما يُبطل زعمهم أن هناك آيات قرآنيةً كثيرةً نصَّتْ على أن الله تعالى على عرشه، وليس هو بذاته في كل مكان؛ ثم بيَّن أن معنى الآية هو أنه تعالى إله السماء وإله من فيها، وأنه إله الأرض وإله من فيها، ومثاله كقولنا: "هو بخراسان أمير وبمصر أمير، فالإمارة تجتمع له فيهما وهو حال بأحديهما أو بغيرهما".

يقول الإمام أحمد بن حنبل-رحمه الله- "تجد أهل البدع، الذين ينكرون علو الله على مخلوقاته، واستواءه على عرشه، يتركون هذه النصوص، وهي مُحْكَمَةٌ واضحة، «ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ» (الأعراف: ٥٤) في سبعة مواضع: «وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ» (البقرة: ٢٥٥)، «وَهُوَ

﴿ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ (الأنعام: ١٨)، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ (فاطر: ١٠)، "أين الله؟ قالت: في السماء"، ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ (الملك: ١٦)، أفراد الأدلة التي تدل على علو الله على مخلوقاته، تزيد على ثلاثة آلاف دليل، وهي واضحة صريحة في أن الله فوق سماواته، وأنه استوى على عرشه، ثم يأتي أهل البدع، وينكرون علو الله على خلقه، ويستدلون بنصوص المعية ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ (الحديد: ٤).

قالوا: إن الله مختلط بالمخلوقات، وممتزج بها، ويتركون العلو، الفوقية، لمرض في قلوبهم، يضربون النصوص بعضها ببعض، ولو وفقوا، لعملوا بالنصوص من الجانبين، كما فعل أهل السنة، فالمعية لا توجب الاختلاط، ولا الامتزاج، والمعية في لغة العرب، لا تدل على الاختلاط، ولا الامتزاج، ولا الوحدة، تقول العرب: ما زلنا نسير، والقمر معنا، والقمر فوق رأسك، هذه معية المعية، معناها المصاحبة، فهؤلاء تعلقوا بنصوص المعية، وأبطلوا بها النصوص الفوقية، لمرض في قلوبهم".

ولقد لجأ أهل الحديث إلى تدبُّر القرآن الكريم والاستنباط منه كي يردُّوا على مقالات المتكلمين، فعندما أنكر الجهمية علو الله تعالى واستواءه على عرشه، ردَّ على زعمهم أبو سعيد عثمان الدارمي بقوله تعالى عن فرعون: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝٣٦ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ (غافر: ٣٦-٣٧).

> ”الأدلة التي تدل على علو الله على مخلوقاته، أكثر من أن تُحصى.“

واستنتج منه أن موسى-عليه السلام- كان يقول لفرعون: إن الله تعالى في السماء، وإلا ما أمر فرعونُ هامانَ ببناء الصرح له كي يصعد ليراه، واحتج عليهم الدارمي أيضًا بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ (الشورى: ٥١)، واستنبط الدارمي من هذه الآية أن فيها إشارةً إلى أن الله عز وجل بائن عن خلقه، فلو كان بذاته مع مخلوقاته في كل مكان، ما "كان للحجب معنى؛ لأن الذي هو في كل مكان لا يُحجب بشيء من شيء".

ثانيا: احتجاج أهل الحديث بالسنة في إثبات صفة العلو:

أكدت السنة النبوية أن الله- عز وجل- في السماء في أكثر من حديث، فقد روى الترمذيُّ والإمام أحمد من حديث الحسن عن عمران بن حصين قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي: (يا حصينُ، كم تعبد اليوم إلهًا؟) قال أبي: سبعة؛ ستَّة في الأرض، وواحدًا في السَّماء، قال: (فأيَّهم تعدُّ لرغبتك ورهبتك؟) قال: الذي في السَّماء، قال: (يا حصينُ، أمَا إنَّك لو أسلمتَ علَّمْتُك كلمتين ينفعانك)، قال: فلمَّا أسلم حصينٌ قال: يا رسول الله علِّمْني الكلمتين اللَّتَين وعدتني، قال: (قل: اللَّهمَّ ألهمني رشدي، وأعذني من شرِّ نفسي)"، فعندما قال حصين-رضي الله عنه- "وواحدًا في السماء"، و"الذي في السماء"، لم ينكر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله في السماء بل أقره على ذلك.

وعندما أنكرت الجهمية عُلوَّ الله على خلقه ومباينته إياهم، وقالوا إنه في كل مكان بذاته، ردَّ عليهم أبو سعيد عثمان الدارمي بحديث الجارية، ومفاده أن صحابيًا ضرب جارية له، فندم على فعله وأراد أن يُعتقها، وأخبر الرسول-عليه الصلاة والسلام- بأمرها، فقال له: "ادعها، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: أين الله؟ قالت: في السماء، قال: فمن أنا؟ قالت: أنت رسول الله. قال: أعتقها فإنها مؤمنة".

هذا الحديث قال فيه الدارمي إنه صريح في أن الله في السماء دون الأرض، وإن الرجل إذا لم يعلم ذلك فليس بمؤمن؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل أمارة إيمان الجارية معرفتها أن الله تعالى في السماء، واستنتج الدارمي من قوله صلى الله عليه وسلم: "أين الله؟"، أن فيه تكذيبًا لمن يقول: إن الله في كل مكان، ولا يوصف بالأين؛ لأن الشيء الذي لا يخلو من مكان "يستحيل أن يُقال: أين هو؟، ولا يُقال: أين، إلا لمن في مكان يخلو منه مكان"، ولو كان الأمر على ما يدعيه هؤلاء الجهمية النفاة لأنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم

على الجارية قولها إنه سبحانه في السماء -ردًا على سؤاله-، لكنه صدّقها وشهد لها بالإيمان، ولو كان الله في السماء والأرض لم يتم إيمانها حتى تعرفه في الأرض كما عرفته في السماء، واستنتاجاته هذه صحيحة مُفحمة، تدل على بعد نظره وحسن فهمه في تدبُّر الحديث وفهم ما فيه من معانٍ.

ثالثا: احتجاج أهل الحديث في إثبات صفة العلو بأدلة عقلية مستنبطة من النصوص الشرعية:

لجأ أهل الحديث إلى الاستنباط من السنة ما يردون به على الجهمية وغيرهم من الفرق الكلامية، فعندما أنكرت الجهمية علو الله على خلقه، استدل عليهم أبو سعيد الدارمي بحادثة إسراء الرسول صلى الله عليه وسلم وعروجه إلى السموات حتى وصل إلى سدرة المنتهى فوق سبع سماوات، واستنبط منها أنه لو كان الله في كل مكان كما "زعم هؤلاء، ما كان للإسراء والبراق والمعراج إذن من معنى، وإلى من يعرج به إلى السماء؟ وهو بزعمكم الكاذب معه في بيته في الأرض ليس بينه وبينه ستر".

رابعا: احتجاج أهل الحديث بأقوال السلف من الصحابة والتابعين في إثبات صفة العلو:

احتج المحدثون -في ردهم على مزاعم المتكلمين- بأقوال السلف الأول من الصحابة وتابعيهم من أئمة أهل السنة، وطالبوهم أيضًا بأن يأتوا بآثار عنهم لدعم مزاعمهم ومقالاتهم، حيث تحدى أبو سعيد الدارمي الجهمية، عندما ناقشهم في مسألة خلق القرآن، بأن يأتوا بنص من القرآن، أو من السنة، أو من أقوال السلف، فيه -أي النص- أن القرآن من خلق الله، فقال لهم: "فهاتوا عن أحد منهم منصوصًا أنه خلق الله كما ادعيتم، وإلا فأنتم المفارقون لجماعة المسلمين قديمًا وحديثًا، الملحدون في آيات الله، المفترون على الله وعلى كتابه ورسوله صلى الله عليه وسلم، ولن تأتوا عن أحد منهم".

> "أهل التأويل والتعطيل استدبروا العقل والنقل معاً."

ومن أقوال السلف التي احتج بها المحدثون على الجهمية في إنكارهم لعلو الله تعالى، قول يُروى عن أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- وفيه أنه قال: "أيها الناس إن كان محمدٌ إلهكم الذي تعبدون فإن إلهكم قد مات، وإن كان إلهكم الله الذي في السماء فإن إلهكم لم يمت". وموضع الاحتجاج هنا هو قوله: "إلهكم الله الذي في السماء"، وهو صريح بأن الصحابة كانوا يعتقدون أن الله تعالى في السماء.

ومنها أيضًا قول لعبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-: "ما بين السماء الدنيا والتي تليها مسيرة خمسمائة عام، وبين كل سماء مسيرة خمسمائة عام، وبين السماء السابعة وبين الكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي إلى الماء خمسمائة عام، والعرش على الماء، والله تعالى فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه"، فهذا نص صريح في علو الله تعالى على خلقه.

وكذلك قول عبد الله بن عباس -رضي الله عنه- لعائشة أم المؤمنين -رضي الله عنها-: "... وأنزل الله براءتك من فوق سبع سماوات، جاء بها الروح الأمين". وموضع الشاهد على علو الله هو قوله: "من فوق سبع سماوات"، مما يعني أن الصحابة -ومنهم ابن عباس وعائشة؛ إذ لم تنكر عليه قوله وهي المعروفة بمنهجها في قبول الحديث- كانوا يؤمنون بأن الله تعالى بائن عن خلقه، وأنه مستوٍ على عرشه فوق سبع سموات، وليس هو بذاته في مخلوقاته.

وأيضًا قول الفقيه المحدِّث عبد الله بن المبارك في الجهمية: "إنا نستجيز أن نحكي كلام اليهود والنصارى، ولا نستجيز أن نحكي كلام الجهمية"؛ لأن كلامهم في تعطيل الصفات فيه ما هو أوحش من كلام اليهود والنصارى. وعندما قيل له: كيف ينبغي أن نعرف ربنا؟ قال: على السماء السابعة على عرشه، ولا نقول كما تقول الجهمية إنه هاهنا في الأرض"، وفي رواية "بأنه فوق السماء السابعة على العرش، بائن من خلقه".

هكذا اتضح لنا كيف أن أهل الحديث لم يدخروا وسعا في استخراج واستنباط الأدلة من الكتاب والسنة في ردهم على المتكلمين؛ وفي هذا رد على من يُروجون أن أهل الحديث هم نصيّون، ولا مجال للعقل عندهم، لا، هم يعملون العقل ولكن في مجاله فقط وفيما يطيق فقط.

والحمد لله رب العالمين.

تحذير الداعية من القصص الواهية

الحلقة (١٨٩)

قصة الزمان الذي أحل فيه النبي صلى الله عليه وسلم العزوبة

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت وانتشرت على ألسنة القصاص والوعاظ والمتصوفة.

وأخرجتها بعض كتب السنة الأصلية، والى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

إعداد / علي حشيش

أولاً: أسباب تخريج وتحقيق القصة:

١- هذا الحديث أورده دكتور في كلية الآداب جامعة المنصورة، ولا يهمنا ذكر اسمه ولا رسمه بقدر ما يهمنا تحقيق هذا الحديث الذي جاءت به هذه القصة في كتابه «الفلسفة الروحية» (ص٢٨)، وانتشر الحديث لتدريسه على الطلاب بالكلية والذين يتخرجون مدرسين للغة العربية والدين، وجاءني أحد المدرسين وكان يحتفظ بهذا الكتاب يريد أن يقف على حقيقة هذه القصة.

٢- لقد اعتقد الدكتور أن هذا الحديث أصلاً فبنى عليه معتقدا في كتابه هذا (ص٢٩) فقال: «وهكذا فيتغير حال المؤمنين بتغير الزمن، وكذلك يتغير حال الجماعة الإسلامية، وتتوافق الدعوة مع مقتضى الحال، إذ إنَّ الزواج الذي يعد مطلوبا في الظروف العادية، يصبح منبوذا في حال تكالب الناس على الشهوات وسيرهم في طريق المعاصي». اهـ.

قلت: وهذه الأسباب من مقتضيات وموجبات تحقيق هذه القصة والتي أصبحت منهجا يدرس في الجامعة.

ثانيا: المتن:

رُوي عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لا يَسْلَمُ لذي دين دينُه إلا مَنْ فَرَّ بدينه من قَرْيَة إلى قَرْيَة، ومَنْ شَاهَق إلى شَاهَق، ومن جُحْرٍ إلى جُحْرٍ كالثعْلَبِ الذي يَرُوغُ »، قالوا: ومَتَى ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: « إذا لَمْ تُنَل المعيشةُ إلا بمعاصي الله عز وجل، فإذا كانَ ذلكَ الزَّمَانُ حلَّتِ الْعُزُوبَةُ »، قالوا: وكيف ذاكَ يا رسُولَ الله، وقد أمرتنا بالتزوج؟ قال: « لأنَّهُ إذا كانَ ذلكَ الزَّمانُ كانَ هلاكُ الرَّجل عَلَى يَدَيْ أَبَوَيْهِ، فإنْ لم يَكُنْ لَهُ أَبَوانِ فَعَلَى يَدَيْ زَوْجَتِه وولَدِه، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ ولا وَلَدٌ فعلى يدي قرابته »، قالوا: وكيف ذاكَ يا رَسُولَ الله؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلَّم: « يُعَيِّرُونَهُ بضيق المعيشة فيتكلفُ ما لا يُطيق حتى يُورده موارد الهلكة».

ثالثا: التخريج:

الحديث الذي جاءت به قصة «الزمان الذي أحل فيه النبي صلى الله عليه وسلم العزوبة» أخرجه الخطابي في «العزلة» (ص٦٦) قال: حدثنا أحمد بن سلمان النجاد، قال: حدثنا محمد بن يونس الكديمي، قال: حدثنا

محمد بن منصور الجشمي، قال: حدثنا سلم بن سالم، قال: حدثنا السري بن يحيى، عن الحسن، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود مرفوعًا.

فائدة: الإمام الخطابي:

قال عنه الحافظ الذهبي في «تذكرة الحفاظ» (٩٥٠/١٠١٨/٣): «هو الإمام العلامة المفيد المحدث أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي صاحب التصانيف توفي الخطابي ببست في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين وثلاث ومائة». اهـ.

رابعا: التحقيق:

هذا سند واه جدًا، علته الكديمي.

١- قال الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٢٩٢/٦) (١٧٨٠/١٥٩): «محمد بن يونس بن موسى أبو العباس الكديمي البصري، اتهم بوضع الحديث وسرقته، وادعى رؤية قوم لم يرهم، ورواية عن قوم لا يُعرفون وترك عامة مشايخنا الرواية عنه».

ثم قال: «وكان ابن صاعد وشيخنا عبد الملك بن محمد لا يرويان عن الكديمي لكثرة مناكيره، وإن ذكرت كل ما أنكر عليه وادعاه ووضعه لطال ذلك». اهـ.

٢- وقال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٣١٢/٢): «محمد بن يونس بن موسى أبو العباس البصري الذي يقال له الكديمي من أهل بغداد، كان يضع على الثقات الحديث وضعًا، ولعله قد وضع أكثر من ألف حديث». اهـ.

فائدة: وحتى يقف القارئ الكريم على درجة ضعف الكديمي نبين له معنى «الموضوع»:

قال الإمام السيوطي في «التدريب» (٢٧٤/١): «الموضوع هو الكذب المختلق المصنوع، وهو شر الضعف وأقبحه، وتحرم روايته مع العلم بوضعه في أي معنى كان سواء الأحكام والقصص والترغيب وغيرها إلا مقرونًا ببيان وضعه». اهـ.

٣- قال الإمام الدارقطني في «الضعفاء والمتروكين» (٤٨٧): «محمد بن يونس بن موسى السَّامي الكديمي». اهـ.

قلتُ: يظن من لا علم له بمناهج المحدثين من علماء الجرح والتعديل أن الدارقطني سكت عنه، حيث إنه لم يذكر غير اسمه، ولا يدري أن مجرد إثبات اسم الراوي في كتاب «الضعفاء والمتروكين» للدارقطني يستنبط منه اتفاق ثلاثة من أئمة الجرح والتعديل على تركه، يتبين ذلك من قول الإمام البرقاني: «طالت محاورتي مع أبي منصور إبراهيم بن الحسين بن حَمَكان لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني عفا الله عني وعنهما في المتروكين من أصحاب الحديث فتقرر بيننا وبينه على ترك من اشتبه على حروف المعجم في هذه الورقات». اهـ.

٤- وقال الحافظ الذهبي في «الميزان» (٨٣٥٣/٧٤/٤): «محمد بن يونس بن موسى القرشي السامي الكوشي البصري أحد المتروكين، وقال أبو عبيد الآجري: رأيت أبا داود يطلق في الكديمي الكذب وكذلك كذّبه موسى بن هارون، والقاسم المطرز».

وسئل عنه الدارقطني فقال: يتهم بوضع الحديث وما أحسن فيه القول إلا من لم يخبر حاله».

ثم قال الدارقطني: قال لي أبو بكر أحمد بن المطلب الهاشمي، قال: كنا يومًا عند القاسم بن زكريا المطرز، فمر في كتابه حديث الكديمي، فامتنع من قراءته فقام إليه محمد بن عبد الجبار، وكان قد أكثر عن الكديمي، فقال: أيها الشيخ: أحب أن تقرأه، فأبى. وقال: أحاجه بين يدي الله غدًا، وأقول: «إن هذا كان يكذب على رسولك وعلى العلماء». اهـ.

٥- وقال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٥٤٨/١٢٢/٨): «سمعت أبي وعرض عليه شيء من حديث الكديمي فقال: «ليس هذا حديث أهل الصدق». اهـ.

وعلة أخرى: سَلْم بن سالم.

١- قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٣٤٠/١): سَلْم بن سالم البَلْخي، منكر الحديث يقلب الأخبار قلبًا كان مرجئًا شديد الارجاء داعية إليها، كان ابن المبارك يكذبه. اهـ.

٢- قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح

والتعديل» (١١٤٩/٢٦٦/٤): «حدثنا علي بن الحسن الهسنجاني قال: سمعت نعيم بن حماد يقول: سمعت ابن المبارك وذكر عنده حديث لسلم بن سالم فقال: هذا من عقارب سلم. وقال: قرئ على العباس بن محمد الدوري عن يحيى بن معين أنه قال: سلم بن سالم البلخي ليس بشيء».

وقال: سمعت أبي يقول: «سلم بن سالم ضعيف الحديث وترك حديثه ولم يقرأه علينا».

وقال: سئل أبو زرعة عن سلم بن سالم فقال: أخبرني بعض الخراسانيين قال: سمعت ابن المبارك يقول: «اتق حيّات سلم بن سالم لا تلسعك». وقال: سمعت أبا زرعة يقول: ما أعلم أني حدثت عن سلم بن سالم إلا أظنه مرة، قلت: كيف كان في الحديث؟ قال: لا يكتب حديثه، كان مرجئًا، وكان لا- وأومأ بيده إلى فيه- يعني لا يصدق». اهـ.

٣- وقال الإمام الحافظ الجوزجاني في كتابه «أحوال الرجال» (٣٩٠): «سَلْم بن سالم البلخي غير ثقة، سمعت إسحاق بن إبراهيم- المعروف بابن راهويه- يقول: سئل ابن المبارك عن الحديث الذي حدث في أكل العدس أنه قُدِّس على لسان سبعين نبيًّا؟ فقال: لا، ولا على لسان نبي واحد، إنه لمؤذ ينفخ، من حدثكم؟ قالوا: سَلْم بن سالم. فقال: عمّن؟ قالوا: عنك، قال: وعنّي أيضًا». اهـ.

٤- ونقل الحافظ الذهبي أقوال أئمة الجرح والتعديل والتي ذكرناها آنفًا في «الميزان» (٣٣٧١/١٨٥/٢) وأقرها.

قلتُ: وبهذا يتبين أن القصة واهية والسند تالف بما فيه من كذابين ومتروكين ووضاعين متهمين بسرقة الحديث وليس بشيء وغير ثقة.

خامسًا: طريق آخر للقصة:

أخرجه الإمام البيهقي في كتابه «الزهد» (ح٤٣٩) من طريق جامع بن سوادة، حدثنا عبد الله بن مسلمة، حدثنا المبارك بن فضالة، عن الحسن، عن أبي هريرة مرفوعًا به، والمتن في هذا الطريق لم يذكر فيه البيهقي جملة: «فإن كان ذلك الزمان حلت العزوبة».

ولم يذكر أيضًا ما يتعلق بها.

قلتُ: وهذا سند واهٍ مسلسل بالعلل:

الأولى: عنعنة المبارك بن فضالة، فقد كان مدلسًا، أورده الحافظ ابن حجر في «طبقات المدلسين» في «المرتبة الثالثة» برقم (٢٤) وقال: «مشهور بالتدليس وصفه به الدارقطني وغيره وقد أكثر عن الحسن البصري». اهـ.

قلتُ: تلك المرتبة التي قال عنه الحافظ ابن حجر في «المقدمة»: «من أكثر من التدليس فلم يحتج الأئمة من أحاديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسماع». اهـ.

وأورده السيوطي في كتاب «أسماء المدلسين» برقم (٤٨) وقال: «وقال أبو زرعة: يدلس كثيرًا، وقال أبو داود: شديد التدليس». اهـ.

قلتُ: بهذا لا يحتج بحديثه هذا، لعنعنته وعدم التصريح بالسماع كما في «الميزان» (٤٣١/٤).

العلة الثانية: الانقطاع بين الحسن وأبي هريرة:

قلت: يظهر ذلك من قول الإمام أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٤١/٣): عن أبيه قال: «لم يصح له- أي الحسن البصري- السماع من أبي هريرة..» كذا في «تهذيب التهذيب» (٢٣١/٢)، وقال ابن حجر في «التقريب» (١٦٥/١): «كان يرسل كثيرًا ويدلس».

وقال الإمام ابن أبي حاتم في «المراسيل» (١٠٤/٣٥): حدثنا محمد بن أحمد بن البراء قال: قال عليّ (يعني ابن المديني): «لم يسمع الحسن من أبي هريرة الدوسي شيئًا».

وقال الإمام علي بن المديني في «العلل» (٧١): «ولم يسمع الحسن من أبي هريرة شيئًا».

وقال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «المراسيل» (١١٠/٣٤): «سمعت أبا زرعة يقول: «لم يسمع الحسن من أبي هريرة ولم يره، فقيل له: فمن قال: «حدثنا» أبو هريرة؟

قال: يخطئ». اهـ.
فائدة:
أ- قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (١٦٥/١): «الحسن بن أبي الحسن البصري واسم أبيه يسار مات سنة عشر ومائة، وقد قارب التسعين». اهـ. فهو بين (٢٠- ١١٠هـ).
ب- وقال الحافظ في «التقريب» (٤٨٤/٢): «أبو هريرة الدوسي الصحابي مات سنة ثمان وخمسين وهو ابن ثمان وسبعين». اهـ.
قلتُ: مما أوردناه آنفًا يتبين:
أ- الحسن البصري عاصر أبا هريرة كما هو مبين من التواريخ.
ب- الحسن البصري لم يسمع من أبي هريرة شيئًا.
إذن هذه الرواية ينطبق عليها الإرسال الخفي تمام الانطباق.
فائدة للتفريق بين التدليس والإرسال الخفي: ولقد بين الحافظ العراقي في «فتح المغيث شرح ألفية الحديث» (ص٨٠) قال: «وقد حدَّه- أي التدليس- أبو الحسن بن القطان في كتابه «بيان الوهم والإيهام» بأن يروي عمن قد سمع منه ما لم يسمع منه من غير أن يذكر أنه سمعه منه، قال: والفرق بينه وبين الإرسال الخفي: هو أن الإرسال روايته عمن لم يسمع منه».
فالعلة الأولى: التدليس، والعلة الثانية الإرسال الخفي، والعلة الثالثة جامع بن سوادة: ضعيف وله أباطيل، أوردها ابن حجر في «اللسان» (١١٩/٢).
وطريق أبي هريرة هذا طريق تالف واهٍ لا يزيد طريق ابن مسعود إلا وهنًا على وهن.

سادسًا: البدائل الصحيحة:

إنَّ هذه القصة الواهية المنكرة والتي تبين بطلانها، نسج الدكتور في كتابه «الفلسفة الروحية» خيوطًا لأفكار منكرة تدرس في الجامعة من هذه القصة الواهية المنكرة، وبنى عليها أصلاً لبدعة العزوبة ونبذ الزواج فقال: «الزواج يصبح منبوذًا في حالة تكالب الناس على الشهوات». اهـ.
ولا يدري الدكتور لعدم معرفته بالصناعة الحديثية أنه بنى قوله هذا على قول كذب مختلق مصنوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم: «فإذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة». اهـ.
فبدلاً من أن يسود كتابه بالأحاديث الضعيفة والموضوعة، فعليه بالأحاديث الصحيحة والتي تبين العلاج للشباب في حالة كثرة المعاصي، وانتشار الوسائل التي تزين الشهوات فخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال صلى الله عليه وسلم: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ».
الحديث أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» (ح٥٠٦٥، ٥٠٦٦، ١٩٠٥)، ومسلم (ح١٤٠٠)، وأبو داود في «السنن» (ح٢٠٤٦)، والترمذي في «السنن» (ح١٠٨١)، والنسائي في «السنن» (١٧١/٤، ٥٨/٦)، وابن ماجه (٥٩٢/١) (ح١٨٤٥)، وأحمد (٣٨٧/١، ٤٢٥، ٤٣٢) من حديث عبد الله بن مسعود.
قلتُ: هذا هو الزواج فهو العلاج الذي تغلق به أبواب الشهوات، فهو أغض للبصر، وأحفظ للفرج، فمن قال: حلت العزوبة فلا أتزوج أبدًا، فهذا قول منكر يخالف هدي النبي صلى الله عليه وسلم كما هو مبين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: «جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا؛ فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ. قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ. وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا. فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي». الحديث متفق عليه: أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١).
هذا ما وفقني إليه وهو وحده من وراء القصد.

قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

الحلقة (٢٣)

مصدر التلقي لدى لأهل السنة والجماعة في توحيد الصفات هو: (الوحي).. بينا هو لدى الأشاعرة: (العقل) وتأويلاتهم الصفات الخبرية والفعلية أو تفويض معناها.. خير شاهد على هذا

إعداد/ أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فقد وضح مما سبق وبعد دحض شبهات الأشاعرة القاضية بتقديم العقل، أن تأويلات الأشاعرة ومنهجهم في التعامل مع توحيد الصفات يعتمد على ما جادت به عقول المتأولة، وأنهم قد تأثروا فيما تأولوه بتأويلات الجهمية والمعتزلة، وأن تأويلاتهم ليس لها مستند من آية أو حديث.

وأضيف هنا: أن زعمهم بأن تلك التأويلات هي ما تقضي بها أوضاع اللغة، يَردُ عليه أن الشرع قد خلع على ألفاظ الصفات وصف: (الحقيقة الشرعية)، تماماً كما خلع على (الصلاة) و(الزكاة) و(الكفر) و(الإيمان) نفس الصفة، فهذه الألفاظ نُسيت معانيها اللغوية ودلت بالشرع على معانٍ أخرى صارت فيها حقائق شرعية وصار مرجع الدلالة فيها إلى اصطلاح أرباب الشرع والاعتقاد..

وعليه فلو دلت ألفاظ (اليد) و(العين) و(القدم) و(النزول) و(الاستواء) و(الضحك).. إلخ. في اصطلاح التخاطب ولغة العرب على معاني متعددة أو معينة بحق المخلوقات، فقد دل الشرع عند اتصاف الله بها على وجوب حملها على ظاهرها وحقيقتها الشرعية على الوجه اللائق به تعالى، وإلا احتاج الأمر إلى قرينة تصرفها عما وضعت لها في اصطلاح الشرع وتدل على أنه جاءت على خلاف الأصل، وليس ثمة.. بل الدلائل الفطرية والقرائن العقلية والنقلية واللغوية -كما نرى- دالة على حملها على حقائقها الشرعية وفقط، وهذا ما درج عليه أصحاب القرون المفضَلة ومن تبعهم.

ولقد أخطأ الأشاعرة حين غفلوا عن هذا الضابط وراحوا كغيرهم يستجْدون البراهين والحجج على صرف الصفات عن ظاهرها: من المناهج الفلسفية والطرق الكلامية والأقيسة المنطقية، وقد فتحَتْ هذه النظرة الخاطئة إلى نصوص الوحي، باباً عظيماً للابتداع في الدلائل ومن ثَمَّ في المسائل، ما كان له أن يُفتح لو أنهم قدَروا الوحي الإلهي حقَّ قدره.. وقد شارك المتكلمين في هذا الخطأ: مَن أخذوا من (الصفاتية) أصول الاعتقاد مُسلَمة واعتقدوا أنها طالما قد ثبتَت بأدلة النقل فلا داعي للحجاج العقلي في إثباتها، ودفَعَهم إلى هذا الموقف موقف المتكلمين السلبي من النقل، فأورث ذلك ضعفاً في موقفهم، وتسلُطاً للخصم عليهم وإصراراً منه على منهج الابتداع.. ولقد تميز منهج الصحابة ومن تبعهم عن منهج هؤلاء وأولئك بالجمع بينهما، فكانوا وسطاً في باب الصفات وغيره، فهم من ناحية يستمسكون بالوحي لا يتجاوزونه؛ جرياً على منهاج النبوة: ﴿ فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ (الزخرف/ ٤٣)، ثم هم من ناحية

أخرى يعطون النقل حقّه من الدلالة العقليّة، فكانوا بذلك أسعد الطوائف بالعقل الصريح والنقل الصحيح.. وللمسألة بذلك جانبان:

الأول: التأصيل لجعل الوحي هو مصدر التلقي، والعقل تبع له:

وهذا ما عليه إجماع أهل السنة والجماعة وجمهرة المحدِّثين، وحجتهم: أن لو كان أساس الدين على المعقول لاستغنى الخلق عن الوحي وعن الأنبياء، ولبطل معنى الأمر والنهي، ولقال ما شاء ما شاء، ولوجب على المؤمنين ألا يقبلوا شيئاً من أمور الدين حتى يعقلوه.. وأدلة العقل ناطقة بهذا، فنحن إذا تدبرنا عامة ما جاء في أمر الدين من ذكر الصفات وما ظهر للمسلمين من أمور الاعتقاد ونقلوه عن سلفهم إلى أن أسندوه إلى الرسول من ذكر عذاب القبر وسؤال الملكين والحوض والميزان والصراط وصفات الجنة والنار، لوجدنا أنها أمور لا تدرك حقائقها بعقولنا، وإنما ورد الأمر بقبولها والإيمان بها.

فإذا سمعنا شيئاً من أمور الدين وعقلناه فبها، وما لم تبلغه عقولنا آمنا به وصدّقنا واعتقدنا أنه الحق، وهذا هو الفرقان بين أهل الإيمان والسنة وأهل البدعة من المتكلمة، وعليه "كان الصحابة ومن سلك سبيلهم من التابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين، فلهذا لم يكن أحد منهم يعارض النصوص بمعقوله، ولا يؤسس ديناً غير ما جاء به صلى الله عليه وسلم، وإذا أراد معرفة شيء من الدين والكلام فيه: نظر فيما قاله الله والرسول، فمنه يتعلم وبه يتكلم وفيه ينظر ويتفكر وبه يستدل، فهذا أصل أهل السنة.. وأهل البدع لا يجعلون اعتمادهم على ما تلقوه عن الرسول، بل على ما رأوه أو ذاقوه، ثم إن وجدوا السنة توافقه، وإلا لم يبالوا بذلك، فإذا وجدوها تخالفه أعرضوا عنها تفويضاً أو حرفوها تأويلاً"ا.هـ من مجموع الفتاوى (١٣/ ٦٣).

وعلى ذلك سائر أئمة المسلمين، قال يوسف بن عبد الهادي الشهير بابن المِبْرَد (ت ٩٠٩) في (جمع الجيوش والدساكر على ابن عساكر) ص ١٤٧: "إن باب الصفات وأصول الديانات، إنما هو باب النقل لا العقل، فمن جعل باب ذلك: العقل، فقد أخطأ"، وقال ص ٢٨٩: "إن باب الصفات موقوف على النقل والتقليد لا على الاجتهاد، وكل العلم يسوغ فيه الاجتهاد إلا هذا".

الثاني: التأصيل لجعل العقل وسيلة لفهم النصوص، أو إثباتها لورود الخبر الصادق بها.. كونه مناط التكليف لإظهار الدين والعمل بمقتضى النقل:

وتلك هي القاعدة التي انطلق منها أصحاب مقولة: (إن النقل الصحيح لا يعارض العقل الصريح)، وهي ما أصل لها عموم أهل السنة، وذلك بذهابهم إلى أن صفات الرب تتنوع من حيث ثبوتها إلى نوعين: الأول الصفات العقلية: وهي التي يشترك في إثباتها الدليل السمعي والعقلي، وهي أكثر صفاته تعالى، بل أغلب الصفات الثبوتية يشترك فيها الدليلان.. والنوع الثاني الصفات الخبرية والفعلية، وتسمى النقلية والسمعية: وهي التي لا سبيل إلى إثباتها إلا بالخبر الصادق الذي جاء به الكتاب أو السنة الصحيحة والذي لولاه -وبموجب العقل- لأمسكنا عن الكلام فيها لأنها توقيفية، ثم لا نخوض فيها بأهوائنا وآرائنا، بل نثبتها على وجه يليق بعظمة الله وجلاله بدون تحريف أو تعطيل ودون تشبيه أو تجسيم على حدِّ قوله: (لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ) (الشورى/ ١١)، ونفوض كيفيتها وحقيقتها إلى الله لعدم معرفتنا لحقيقة الذات.. أما العقل فليس له دور في إثباتها سوى التصديق بها بعد ثبوتها بطريق الوحي، كونه لا يعارض الخبر الصحيح على ما أفضنا.

مخالفة الأشاعرة لما أصّل له أهل السنة في باب الصفات:

يقول د. فيصل الجاسم في كتابه (الأشاعرة في ميزان أهل السنة) ص ٧٠ نقلاً عن كوكبة من أئمة العلم سلفاً وخلفاً: "وأما المتكلمون من

الأشاعرة الكُلاَّبية وغيرهم فقد انحرفوا في مصدر التلقي، وخالفوا ما أمر الله به ورسوله وما كان عليه سلف الأمة، وهم مع ذلك مختلفون في تحديده، إلا أنه يجمعهم الاعتماد على العقل، فيجعلونه الأساس في تقرير مسائل المعتقد ويقدمونه على النقل، ولذا فهم يقسمون مباحث العقيدة إلى (عقليات) تشمل أكثر (الإلهيات) كالتوحيد والنبوات ونحو ذلك، و(سمعيات) تشمل أمور الآخرة ولواحقها، وقرروا أن الأصل في العقليات هو: العقل، بينما في السمعيات: النقل"، ونقل في ذلك كلام ابن الجويني والغزالي الذي أفادا فيه ذلك، وذلك بالطبع قبل تراجعهما فيما ذكرناه مفصلاً في كتابنا (سيراً على خطا الأشعري.. أئمة الخلف يتراجعون إلى ما تراجع إليه).

على أن ما ذكرناه هنا للأشاعرة جد خطير.. ولازمه أن العقل هو الأصل فيما تعلق من العقائد بتوحيد الصفات، وعليه تُعرض أدلته، فما وافق منها عقل المتكلم من الأشاعرة وغيره قبله، وما خالفه حرَّفه تأويلاً، أو عطله تفويضاً.. ولازمه كذلك التقديم بين يدي الله ورسوله، ومخالفة نصوص الوحي، وتقديم العقل على النص بل وتقديسه إلى حدٍّ أوصل بعضَهم وهو الصاوي في حاشيته على الجلالين ٣/ ١٠، لأن يصرح بأن "الأخذ بظواهر الكتاب والسنة أصل من أصول الضلالة".

وبعضَهم الآخر وهو السنوسي في شرح الكبرى ص ٨٢ لأن يقول: "وأما من زعم أن الطريق إلى معرفة الحق: الكتاب والسنة ويحرِّم ما سواهما، فالرد عليه: إن حجيتهما لا تُعرف إلا بالنظر العقلي، وأيضاً: فقد وقَعَتْ فيهما - يعني: الكتاب والسنة - ظواهر من اعتقدها على ظاهرها: كَفَر عند جماعة أو ابتدع"، وقال: "أصول الكفر ستة -وذكر في السادس منها-: التمسك في أصول العقائد بمجرد ظواهر الكتاب والسنة.. والتمسك في أصول العقائد بمجرد ظواهر الكتاب والسنة من غير بصيرة في العقل: هو أصل ضلال الحشوية، فقالوا بالتشبيه والتجسيم والجهة، عملاً بظاهر قوله تعالى: (ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ) (طه/ ٥)، (ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ) (الملك/ ١٦)، (لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ) (ص/ ٧٥)، ونحو ذلك"..

وتلك وأيم الله جريرة لا يمكن السكوت عنها، كونهما قد جعلا - وجميع من كان على شاكلتهما - النبي وصحابته والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين: حشوية، وجعلا ما هم عليه: ضلالة وتشبيهاً وتجسيماً.. ولطالما نادى أصحاب كتب الاعتقاد بردِّ هذا، وبالتمسك بظواهر نصوص الكتاب والسنة في باب الصفات وحذروا من مخالفتها.

الأشعري دون تابعيه، على التسليم لما أصل له أهل السنة:

ففي كتابه (الإبانة) ص ٤٧ وما بعدها يشير أبو الحسن إلى أن أهل الزيغ والضلال قد "دفعوا أن يكون لله وجه، مع قوله تعالى: (وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ) الرحمن/ ٢٧)، وأنكروا أن يكون له يدان، مع قوله: (لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ) ص/ ٧٥)، وأنكروا أن يكون له عينان، مع قوله: (تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا) القمر/ ١٤) وقوله: (وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ) طه/ ٣٩).. ونفوا ما روي عن رسول الله: (إن الله ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا) وغير ذلك مما رواه الثقات عنه"..

ويقول الأشعري في رد ذلك: "فصل في إبانة قول أهل الحق والسنة: فإن قال قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة، فعرفونا قولكم الذي به تقولون وديانتكم التي بها تدينون، قيل له: قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها: التمسك

بكتاب ربنا وبسنة نبينا وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون وبما كان عليه أحمد بن حنبل قائلون، ولمن خالف قوله مجانبون"..

ثم راح يعقب ويبين عقيدته التي هي عقيدة الصحابة والتابعين، مصرحاً بإجراء ما ورد من الصفات على حالها بلا كيف ولا تعطيل، ولا تشبيه ولا تجسيم، غير متعرِّض لتأويل ولا تحريف، قائلاً: "إن الله استوى على العرش على الوجه الذي قاله، وبالمعنى الذي أراده.. وأن له وجهاً بلا كيف، كما قال: (وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) الرحمن/ ٢٧)، وأن له يدين بلا كيف كما قال: (بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ) المائدة/ ٦٤)، وأن له عينين بلا كيف، كما قال: (تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا) القمر/ ١٤).. ولا ننفي ذلك كما نفته المعتزلة والجهمية والخوارج.. وندين الله بأنه يقلب القلوب بين أصبعين من أصابعه، وأنه يضع السموات على أصبع والأرضين على أصبع كما جاءت الرواية عن الرسول من غير تكييف.. ونصدق بجميع الروايات التي يثبتها أهل النقل من النزول إلى سماء الدنيا، ونعوِّل فيما اختلفنا فيه على كتاب ربنا وسنة نبينا وإجماع المسلمين.. ولا نبتدع في دين الله ما لم يأذن لنا، ولا نقول على الله ما لا نعلم".

على أن ما قرره الأشعري هنا: فضلاً عن كونه المتفق مع السمع.. هو المتفق كذلك مع العقل لكونه القاصر عن إدراك حقيقة الأسماء والصفات وليس له إلا التسليم والإيمان بما جاء به النص، إذ العقول لا يمكنها إدراك ما يجب إثباته لله على التفصيل الوارد في الشرع، وهذا يستوجب التسليم بكل ما صحت به النصوص وعدم الاعتماد على العقول وحدها في إثباتها.. وفي بيان أن دور العقل يتمثل في الانتصار لما جاء به الوحي، جعل الأشعري يعتمد ما يعرف بـ (دليل الحدوث) الذي مفاده أن الكون حادث وكل حادث لابد له من مُحدث قديم، فبرأيه أن هذا الدليل لا يؤدي إلى إثبات وجود الخالق فحسب، بل يؤدي بالضرورة إلى إثبات صفاته من حياة وقدرة، لأن الميت والعاجز لا يخلق شيئاً، ويدل على صفة الإرادة لأن الخلق من عدم يتطلب اختياراً من الفاعل ليخصص به وجه مراده، كما يدل على السمع والبصر والكلام لأنه لو لم يكن موصوفاً بهذه الصفات لاتصف بأضدادها من الآفات التي تمنعه من إدراك المسموعات والمبصرات..

ومن كلامه في هذا قوله في (رسالة أهل الثغر) ص٢١٦ وما بعدها - وينظر معه شرح الطحاوية ص٦٢٣-: "وأجمعوا على أنه.. لا يجب إذا أثبتنا الصفات له على ما دلت العقول واللغة والقرآن والإجماع، أن تكون محدَثة، لأنه تعالى لم يزل موصوفاً بها.. ولا يجب أن تكون أعراضاً، لأنه عز وجل ليس بجسم، وإنما توصف الأعراض في الأجسام، ويُدل بأعْراضها فيها وتعاقبها عليها على حَدَثها..

ولا يجب أن تكون غيره لأن غير الشيء هو ما يجوز مفارقة صفاته له من قِبَل أن في مفارقتها له ما يوجب حَدَثه وخروجه عن الألوهية وهذا يستحيل عليه.. كما لا يجب أن تكون نفْس الباري جسماً أو جوهراً أو محدوداً أو في مكان دون مكان أو في غير ذلك مما لا يجوز عليه من صفاتنا لمفارقته لنا، فلذلك لا يجوز على صفاته ما يجوز على صفاتنا.. ولا يجب إذا لم تكن هذه الصفات غيره أن تكون نفْسه لاستحالة كونه حياة أو علماً أو قدرة، لأن من كان كذلك لا يتأت منه الفعل، وذلك أن الفعل يتأتى من الحي القادر العالم دون الحياة والعلم والقدرة".

كما أن الأشعري استفاد من فكرة الغائية والنظام أو الابداع -التي مفادها كما يقول الشهرستاني في الملل ص٧٥: أن "الانسان إذا فكر في خلقته من أي شيء ابتدأ وكيف دار في أطوار الخلقة حتى وصل إلى كمال الخلقة.. علم بالضرورة أن له صانعاً قادراً عالماً مريداً، وتبين له الاحكام والإتقان في الخلقة، وأن له تعالى صفات دلت أفعاله عليها لا يمكن

جحدها"- استفاد كيف "يصل إلى إثبات التنزيه لله بالوحدانية، وإلى إثبات العلم والإرادة اللتين يدل عليهما إحكام الصنعة ودقتها، وهذا المنهج العقلي للأشعري قد أوصله إلى إثبات اتصاف الله بكل صفاته.. فهو إذن ملتزم في عقيدته بعقيدة السلف من الكتاب والسنة، وإنما أضاف إلى السلف منهجاً عقلياً يصدُّ به الهجوم". (انتهى من كتاب (علاقة صفات الله بذاته) د. الكردي ص١٣٧).

ويعتمد في إثباتها أيضاً دون تابعيه.. الحجاج العقلي دون الفلسفي الذي انتهجه الأشاعرة:

وقد اقتضى المنهج العقلي الذي اختطه الأشعري لنفسه مؤخراً، أن يرفض بشدة أن تُبنى عقيدة المسلمين في توحيد الله على الأسس المستقاة من الفلسفة الهندية واليونانية والإغريقية، لما بين هذا وذاك من تباين في تصور الإله المعبود.. وحقاً فعل، فقد رأينا كيف أدى ذلك إلى تعطيل صفات الخالق أو بعضها، بدعوى أن نفيها هو لازم القول بنفي الكثرة والتركيب وبوحدة الذات الإلهية وبساطتها من كل وجه.. وأن في إثباتها إيذاناً بتعدد القدماء، لكون هذه الصفات باعتقادهم غير الذات أو زائدة عن الذات.

وقد دعا ذلك كله الأشعري -وقد عرف أقاويل الفلاسفة والمعتزلة -لأن يعقد مقارنة بين نفي المعتزلة للصفات وبين كلام أرسطو، ترجم لها د. حمودة بقوله في كتاب (ابن سينا بين الدين والفلسفة) ص٢٦: "إن أبا الهذيل قد أخذ قوله في الصفات عن أرسطو، فإن أرسطو قال في بعض كتبه: إن الباري علمٌ كله، قدرة كله، حياة كله، سمع كله، بصر كله، فحسَّن أبو الهذيل لفظة أرسطو، وقال: علمه هو هو، وقدرته هي هو".. وكان من رد الأشعري عليه ما جاء في قوله في (الإبانة) ص١٠٦:

"وقد قال رئيس من رؤسائهم: إن علم الله هو الله، فجعل الله علماً، وألزم، فقيل له: إذا قلت إن علم الله هو الله، فقل (يا علم الله اغفر لي وارحمني)، فأبى ذلك فلزمه المناقضة"، واستطرد الأشعري يقول: "واعلموا أن من قال عالم ولا علم كان مناقضاً، كما أن من قال علم ولا عالم كان مناقضاً، وكذلك القول في القادر والقدرة، والحياة والحي، والسمع والبصر والسميع والبصير.. ويقال لهم: خبِّرونا عمن زعم أن الله متكلم، قائل، آمر، ناه، لا قول له ولا كلام، ولا أمر له ولا نهي، أليس هو مناقض خارج عن جملة المسلمين؟ فلا بد من نعم.. يقال لهم: فكذلك من قال: (إن الله عالم ولا علم له)".. وألزم بمثل ذلك في الإرادة، وفي سائر ما نفاه المعطلة من الصفات.

وفي حين نجد الأشعري يرفض في اعتماد المنهج العقلي للتعرف على صفات الخالق، هذا المذهب الفلسفي -الذي يحلو لجامعاتنا حتى في الأزهر أن تقرنه دائماً وأبداً بالعقيدة -لما يستلزمه من نفي صفات الله وتعطيلها، نراه في المقابل يعتمد: (المذهب الكلامي) المحمود، وفرق بينهما.. ويصف الكثيرون مذهب الأشعري في إثبات الصفات -لأجل ما سبق- بأنه المنهج الوسط بين النقل والعقل، ولا يعنون بتلك الوسطية أنها التوفيق أو التلفيق، ولكن كونه الذي أشعر بضرورة مساندة العمل العقلي للنص في تقريره على وجه يلزم الخصم العقلي..

وقد سبق أن ذكرتُ في كتاب (مجمل معتقد أبي الحسن في توحيد الصفات) مدى موافقة الأشعري في ذلك لمن قبله من القرون الفاضلة ولمن تبعهم بإحسان، فليراجع..

وإلى لقاء آخر.. والحمد لله رب العالمين.

من معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم

الحلقة الثانية

إعداد/ صلاح نجيب الدق

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، والصلاة والسلام على نبي الهدى والرحمة الذي بلَّغ الرسالة وأدى الأمانة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين.

أما بعد: فقد سبق معنا في العدد الماضي أن مدارسة معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم تؤدي إلى تقوية الإيمان في نفوس المسلمين، وذكرنا أن الله تعالى قد أيد نبينا محمدًا صلى الله عليه وسلم بمعجزات كثيرة، لتكون دليلاً على صدق رسالته إلى قيام الساعة، ونكمل في هذا المقال ذكر بعض هذه المعجزات النبوية. فأقول وبالله تعالى التوفيق:

(١٣) معجزة ريق نبينا صلى الله عليه وسلم:

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلاً يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ»، قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ (يتحدثون) لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ». فَقَالُوا: يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ فَأْتُونِي بِهِ». فَلَمَّا جَاءَ بَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللهِ، أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ: «انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ فِيهِ، فَوَاللهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ». (البخاري حديث: ٣٧٠١، مسلم حديث: ٢٤٠٦)

(١٤) إخبار نبينا صلى الله عليه وسلم عن ظهور الإسلام وانتشاره:

عَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ، قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلاَ تَدْعُو اللهَ لَنَا؟ قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ

الحَدِيد مَا دُونَ لَحمِه مِنْ عَظمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِه، وَاللهِ لَيُتَمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لا يَخَافُ إِلاَّ اللهَ، أَو الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِه، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ» (البخاري حديث: ٣٦١٢).

وقد تحقق ذلك بفضل الله تعالى. فقد انتشر الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، وظهر الإسلام على سائر الأديان، وارتفعت راية التوحيد في عهد الصحابة ومن بعدهم وأذل الله تعالى للمسلمين بلاد فارس والروم وغيرهم ودان لهم جميع أهلها على اختلاف أصنافهم وألوانهم وصار النَّاس إمَّا مؤمن داخل في الإسلام، وإمَّا مهادن باذل الطَّاعة والمال وإمَّا محاربٌ خائف من قوة المسلمين.

(١٥) إخبار نبينا صلى الله عليه وسلم بموت النجاشي، ملك الحبشة:

عَنْ جَابِر بن عبد الله، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم حِينَ مَاتَ النَّجَاشِيُّ: «مَاتَ اليَوْمَ رَجُلٌ صَالِحٌ، فَقُومُوا فَصَلُّوا عَلَى أَخِيكُمْ أَصْحَمَةَ» (البخاري حديث: ٣٨٧٧، ومسلم حديث: ٩٥٢).

قال الإمام النووي (رحمه الله): في هذا الحديث مُعْجِزَةٌ ظَاهِرَةٌ لِرَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم لإِعْلَامِه بِمَوْتِ النَّجَاشِيِّ وَهُوَ فِي الْحَبَشَة فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيه. (مسلم بشرح النووي جـ٤صـ٢٧).

(١٦) إخبار نبينا صلى الله عليه وسلم باستشهاد بعض الصحابة

عَنْ أَنَس بْنِ مَالِك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ (ابن حارثة) فَأُصِيبَ (قُتل)، ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرٌ (ابن أبي طالب) فَأُصِيبَ (قُتل)، ثُمَّ أَخَذَهَا عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ (قُتل)،- وَإِنَّ عَيْنَيْ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم لَتَذْرِفَانِ- ثُمَّ أَخَذَهَا خَالِدُ بْنُ الوَلِيد مِنْ غَيْرِ إِمْرَةٍ (تأمير من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من الجند معه) فَفُتِحَ لَهُ» (البخاري حديث: ١٢٤٦).

وعَنْ قَتَادَةَ، أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، حَدَّثَهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم صَعِدَ أُحُدًا (اسم جبل)، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ فَرَجَفَ بِهِمْ، فَقَالَ: «اثْبُتْ أُحُدُ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ، وَصِدِّيقٌ، وَشَهِيدَانِ» (البخاري حديث: ٣٦٧٥).

(١٧) إخبار نبينا صلى الله عليه وسلم عن فتح بلاد فارس:

عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِم: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ لَه: لَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتُفْتَحَنَّ كُنُوزُ كِسْرَى»، قُلْتُ: كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ؟ قَالَ: كِسْرَى بْنِ هُرْمُز. قَالَ عَدِيٌّ: وَكُنْتُ فِيمَنِ افْتَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ. (البخاري حديث: ٣٥٩٥).

(١٨) إخبار نبينا صلى الله عليه وسلم عن فتح مصر:

عَنْ أَبِي ذَرٍّ الغفاري، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا الْقِيرَاطُ، فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا)» (مسلم حديث: ٢٥٤٣).

تحقق ما أخبر به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، حيث فتحَ المسلمون مصر بقيادة عمرو بن العاص في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، سنة عشرين من الهجرة. (البداية والنهاية لابن كثير جـ٧صـ٩٩).

(١٩) إخبار نبينا صلى الله عليه وسلم أن الحسن بن علي يحقن دماء المسلمين:

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى الْمِنْبَرِ وَالحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ إِلَى جَنْبِه، وَهُوَ يُقْبِلُ عَلَى النَّاسِ مَرَّةً، وَعَلَيْه أُخْرَى وَيَقُولُ: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِه بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ». (البخاري حديث: ٢٧٠٤).

قال ابنُ حجر العسقلاني (رحمه الله): هذا الحديث عَلَمٌ مِنْ أَعْلَامِ النُّبُوَّة وَمَنْقَبَةٌ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ فَإِنَّهُ تَرَكَ الْمُلْكَ لا لِقِلَّةٍ وَلا لِذِلَّةٍ وَلا لِعِلَّةٍ بَلْ لِرَغْبَتِه فِيمَا عِنْدَ اللهِ لِمَا رَآهُ مِنْ حَقْنِ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ فَرَاعَى أَمْرَ الدِّينِ وَمَصْلَحَةَ الأُمَّةِ. (وذلك حينما صالحَ الحسن

بن علي معاوية بن أبي سفيان عام واحد وأربعين من الهجرة) (فتح الباري لابن حجر العسقلاني جـ١٣صـ٧١).

(٢٠) إخبار نبينا صلى الله عليه وسلم عن فتح الشام واليمن والعراق:

عَنْ سُفْيَانَ بْنِ أَبِي زُهَيْرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «تُفْتَحُ الشَّامُ، فَيَخْرُجُ مِنَ الْمَدِينَةِ قَوْمٌ بِأَهْلِيهِمْ يَبُسُّونَ (يدعون الناس إلى بلاد الخصب)، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، ثُمَّ تُفْتَحُ الْيَمَنُ فَيَخْرُجُ مِنَ الْمَدِينَةِ قَوْمٌ بِأَهْلِيهِمْ يَبُسُّونَ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، ثُمَّ تُفْتَحُ الْعِرَاقُ، فَيَخْرُجُ مِنَ الْمَدِينَةِ قَوْمٌ بِأَهْلِيهِمْ يَبُسُّونَ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» (مسلم حديث: ١٣٨٨).

قَالَ الْعُلَمَاءُ: فِي هَذَا الْحَدِيثِ مُعْجِزَاتٌ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لِأَنَّهُ أَخْبَرَ بِفَتْحِ هَذِهِ الْأَقَالِيمِ وَأَنَّ النَّاسَ يَتَحَمَّلُونَ بِأَهْلِيهِمْ إِلَيْهَا وَيَتْرُكُونَ الْمَدِينَةَ وَأَنَّ هَذِهِ الْأَقَالِيمَ تُفْتَحُ عَلَى هَذَا التَّرْتِيبِ، وَوُجِدَ جَمِيعُ ذَلِكَ كَذَلِكَ بِحَمْدِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ. (مسلم بشرح النووي جـ٥صـ١٧١).

(٢١) إخبار نبينا صلى الله عليه وسلم أن خلافة النبوة ثلاثون عاماً:

عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُمْهَانَ، عَنْ سَفِينَةَ (خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم)، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: الْخِلَافَةُ ثَلَاثُونَ عَامًا، ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ الْمُلْكُ قَالَ سَفِينَةُ: أَمْسِكْ: خِلَافَةَ أَبِي بَكْرٍ سَنَتَيْنِ، وَخِلَافَةَ عُمَرَ عَشْرَ سِنِينَ، وَخِلَافَةَ عُثْمَانَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً، وَخِلَافَةَ عَلِيٍّ سِتَّ سِنِينَ. (حديث حسن) (مسند أحمد جـ٣٦صـ٢٤٨. حديث: ٢١٩١٩).

(٢٢) إخبار نبينا صلى الله عليه وسلم ابنته فاطمة أنها أول أهل بيته موتاً بعده:

عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ فَاطِمَةَ، بِنْتَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَتْ: أَسَرَّ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي الْقُرْآنَ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ عَارَضَنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلَا أُرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجَلِي، وَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِي لَحَاقًا بِي». (البخاري حديث: ٣٦٢٤، ومسلم حديث: ٢٤٥٠).

وقد تحققت هذه المعجزة النبوية، فقد ماتت فاطمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم بستة أشهر.

(٢٣) إخبار نبينا صلى الله عليه وسلم عن التابعي أويس القرني:

عَنْ أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ قَالَ: كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِذَا أَتَى عَلَيْهِ أَمْدَادُ أَهْلِ الْيَمَنِ (الجماعة الغزاة الذين يمدون جيوش الإسلام في الغزو)، سَأَلَهُمْ: أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ حَتَّى أَتَى عَلَى أُوَيْسٍ فَقَالَ: أَنْتَ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: لَكَ وَالِدَةٌ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ: «يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ، مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ» فَاسْتَغْفِرْ لِي، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: الْكُوفَةَ، قَالَ: أَلَا أَكْتُبُ لَكَ إِلَى عَامِلِهَا (أميرها)؟ قَالَ: أَكُونُ فِي غَبْرَاءِ النَّاسِ (ضعافهم) أَحَبُّ إِلَيَّ. (مسلم حديث: ٢٥٤٢).

(٢٤) إخبار نبينا صلى الله عليه وسلم عن المرأة التي حملت رسالة حاطب إلى أهل مكة:

عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنَا وَالزُّبَيْرَ وَالْمِقْدَادَ فَقَالَ: «ائْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ (مكان بين مكة والمدينة)، فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً (امرأة) مَعَهَا كِتَابٌ، فَخُذُوهُ مِنْهَا». فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى (تجري) بِنَا خَيْلُنَا، فَإِذَا نَحْنُ بِالْمَرْأَةِ، فَقُلْنَا: أَخْرِجِي الْكِتَابَ، فَقَالَتْ: مَا مَعِي كِتَابٌ، فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَتُلْقِيِنَّ الثِّيَابَ، فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا (شعرها المضفور)، فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَإِذَا فِيهِ: مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى نَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم. (مسلم حديث: ٢٤٩٤).

(٢٥) إخبار نبينا صلى الله عليه وسلم عن مقتل عمار بن ياسر على يد الفئة الباغية:

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ لِعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ: «تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ» (مسلم حديث: ٢٩١٦).

قال الإمام النووي (رحمه الله): هَذَا قَدْ وَقَعَ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ. (مسلم بشرح النووي جـ٩صـ٢٧٣).

(٢٦) إخبار نبينا صلى الله عليه وسلم بأن إحدى زوجاته تذهب إلى الحوأب:

عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، أَنَّ عَائِشَةَ، قَالَتْ: لَمَّا أَتَتْ عَلَى الْحَوْأَبِ (مكان بالعراق) سَمِعَتْ نُبَاحَ الْكِلَابِ، فَقَالَتْ: مَا أَظُنُّنِي إِلاَّ رَاجِعَةً. إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ لَنَا: «أَيَّتُكُنَّ تَنْبَحُ عَلَيْهَا كِلَابُ الْحَوْأَبِ؟» فَقَالَ لَهَا الزُّبَيْرُ: تَرْجِعِينَ! عَسَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُصْلِحَ بِكِ بَيْنَ النَّاسِ. (حديث صحيح) (مسند أحمد جـ٤١صـ١٩٧. حديث: ٢٤٦٥٤).

قد تحققت هذه المعجزة النبوية، عندما ذهبت عائشة، رضي الله عنها، لتصلح بين علي بن أبي طالب، وبين طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام، رضي الله عنهم جميعاً.

(٢٧) إخبار نبينا صلى الله عليه وسلم بوقوع قتال بين فئتين عظيمتين من المسلمين:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ، يَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ، دَعْوَتُهُمَا وَاحِدَةٌ. (البخاري حديث: ٧١٢١، ومسلم الفتن حديث: ١٧).

قال الإمام ابنُ حجر العسقلاني (رحمه الله): الْمُرَادُ بِالْفِئَتَيْنِ: عَلِيّ بْن أَبِي طَالِب وَمَنْ مَعَهُ، وَمُعَاوِيَة بْن أَبِي سُفْيَان وَمَنْ مَعَهُ. (فتح الباري لابن حجر العسقلاني جـ١٣صـ٩٢).

(٢٨) إخبار نبينا صلى الله عليه وسلم عن حدود الدولة الإسلامية:

عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: إِنَّ اللهَ زَوَى (جمع) لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ (كنزا كسرى وقيصر ملكي العراق والشام). (مسلم حديث: ٢٨٨٩).

(٢٩) إخبار نبينا صلى الله عليه وسلم باجتماع الأمم على قتال المسلمين:

عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ (مَا يَحْمِلُهُ السَّيْلُ مِنْ زَبَدٍ وَوَسَخٍ)، وَلَيَنْزَعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ (الْخَوْفَ) مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ (الضَّعْفَ)»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ». (حديث صحيح) (صحيح أبي داود للألباني حديث: ٣٦١٠).

(٣٠) إخبار نبينا صلى الله عليه وسلم عن جماعة القرآنيين:

روى أبو داود عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: «أَلاَ إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ، وَمِثْلَهُ مَعَهُ أَلاَ يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلاَلٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ، أَلاَ لاَ يَحِلُّ لَكُمْ (بيانٌ للقسم الذي ثبت بالسُّنة وليس له ذكرٌ في القرآن) لَحْمُ الْحِمَارِ الأَهْلِيِّ، وَلاَ كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبُعِ، وَلاَ لُقَطَةُ مُعَاهِدٍ، إِلاَّ أَنْ يَسْتَغْنِيَ عَنْهَا صَاحِبُهَا، وَمَنْ نَزَلَ بِقَوْمٍ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَقْرُوهُ (يُضَيِّفُوهُ) فَإِنْ لَمْ يَقْرُوهُ فَلَهُ أَنْ يُعْقِبَهُمْ بِمِثْلِ قِرَاهُ (فله أن يأخذ منهم عوضًا عمَّا حرَّموه من الضيافة)» (حديث صحيح) (صحيح أبي داود للألباني حديث: ٣٨٤٨). فقد ظهر في هذا الزمان مَن ينكرون سُنة نبينا صلى الله عليه وسلم، ويسمون أنفسهم بالقرآنيين، ويقولون حسبنا ما جاء في القرآن فقط.

نسأل الله أن يُمسكنا بسنة نبينا حتى نلقاه على حوضه الشريف فنشرب من يده شربة لا نظمأ بعدها أبدًا، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

التبرير والقاء المعاذير

الحلقة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه... أما بعد:

لا يزال الحديث مستمرًا عن التبرير والقاء اللوم، وذكرنا في ختام مقال العدد السابق الفرق بين التبرير المقبول وغير المقبول، ونكمل فنقول وبالله تعالى التوفيق:

وحيث إن أفعال العباد تدور مع الأحكام الخمسة، فقد تكون واجبة أو مستحبة أو محرمة أو مكروهة، أو مباحة فقد يقع التبرير فيها كلها أو بعضها وذلك على النحو الآتي:

إعداد/ المستشار / أحمد السيد علي إبراهيم

أولا: تبرير ترك الواجب:

فقد أنزل الله أوامر في كتابه، وفي سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وأمر عباده بامتثالها، فمنهم من امتثل، ومنهم من تركها معترفًا بخطئه، ومنهم من برر تركه لها بتبريرات واهية.

فعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال تعالى « وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ » (التوبة: ٤٩): نَزلت في الجَدِّ بن قَيس لمَّا غزا مع رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ تَبوكَ، قال له: هل لك يا جَدُّ في جلاد بني الأصفر، تتَّخذُ منهُم السَّراريَّ والوُصفاءَ فقال جدٌّ: ائذَن لي في القُعود عنكَ، فقد عرف قَومي أنِّي مُغرمٌ بالنِّساءِ، وإنِّي أخشى إن رأيتُ بَناتِ بَني الأصفَرِ أن لا أصبرَ عنهنَّ! فأنزل الله هذه الآيةَ» (رواه الطبراني في معجمه الأوسط وصححه الألباني).

فانظر إلى هذا الرجل الذي علم مشقة السفر إلى تبوك، وصعوبة مواجهة الروم والقتال معهم، أراد أن يبرر موقفه، ويحمي ذاته، فاصطنع سببا وهميًا لذلك هو غرامه بالنساء، وخشيته أن يفتن عند رؤيتهن فيترك الصف المسلم لأنه لا يستطيع أن يصبر عنهن!.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في كتابه « الاستقامة »: «ولما كان في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله من الابتلاء والمحن ما يتعرض به المرء للفتنة، صار في الناس من يتعلل لترك ما وجب عليه من ذلك بأنه يطلب السلامة من الفتنة. كما قال تعالى عن المنافقين، « وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ » (التوبة: ٤٩). وقد ذكر في التفسير أنها نزلت في الجد بن قيس لما أمره النبي صلى الله عليه وسلم بالتجهز لغزو الروم.. فقال: « يا رسول الله إني رجل لا أصبر على النساء، وإني أخاف الفتنة بنساء بني الأصفر فائذن لي ولا تفتني فأنزل الله فيه « وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ

بِٱلْكَٰفِرِينَ » (التوبة: ٤٩) يقول: إن نفس إعراضه عن الجهاد الواجب ونكوصه عنه الذي زيّن له ترك الجهاد فتنة عظيمة قد سقط فيها، فكيف يطلب التخلص من فتنة صغيرة لم تصبه، بوقوعه في فتنة عظيمة قد أصابته؟!

وهذه حال كثير من المتدينين يتركون ما يجب عليهم من أمر ونهي وجهاد يكون به الدين لله وتكون به كلمة الله هي العليا، لئلا يفتنوا بجنس الشهوات، وهم قد وقعوا في الفتنة التي هي أعظم مما زعموا أنهم فروا منها». اهـ.

ومن أمثلة تبرير ترك الواجب الآن: ما يفعله بعض المسلمين من ترك الصلاة في المسجد بتبريرات واهية، فتراه يسير مع صديقه فيؤذن للصلاة، فيدعوه صديقه لدخول المسجد للصلاة، فلا يدخل معه بدعوى أنه سيصلي في بيته، أو أنه غير متوضئ، وأنه لا يستطيع دخول دورات مياه المسجد بدعوى عدم نظافتها، أو عدم القدرة على خلع الحذاء، أو كون رائحة جوربه كريهة، فنقول له « بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ » (القيامة: ١٤- ١٥).

ثانيًا: تبرير ترك السنة:

وهناك من يترك السنة، ويبرر للآخرين سبب تركها، وقد وقع في هذا أفاضل الناس، ومن ذلك ما رواه الشيخان عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة ليلة فقال: «أَلاَ تُصَلِّيَانِ؟ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنْفُسُنَا بِيَدِ اللهِ، فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثَنَا، فَانْصَرَفَ حِينَ قُلْنَا ذَلِكَ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، ثُمَّ سَمِعْتُهُ وَهُوَ مُوَلٍّ يَضْرِبُ فَخِذَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: « وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا » (الكهف: ٥٤)».

ورأى شيخ الإسلام أن احتجاج علي رضي الله عنه هذا لم يكن صوابًا بل يرى جواب النبي صلى الله عليه وسلم له نصٌّ في ذم مَن عارض الأمر بالقدر. فقال في «المنهاج»: «ولهذا ذم السلف أهل الكلام وكذلك الجدل إذا لم يكن الكلام بحجة صحيحة لم يك إلا جدلاً محضًا، والاحتجاج بالقدر من هذا الباب كما في الصحيح عن علي رضي الله عنه قال: طرقني رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة فقال: ألا تقومان تصليان؟ فقلت: يا رسول الله! إنما أنفسنا بيد الله إن شاء يبعثنا بعثنا، قال: فولى وهو يقول: (وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً)؛ فإنه لما أمرهم بقيام الليل فاعتل علي رضي الله عنه بالقدر وأنه لو شاء الله لأيقظنا علم النبي صلى الله عليه وسلم أن هذا ليس فيه إلا مجرد الجدل الذي ليس بحق فقال: «وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً». اهـ.

وفي مجموع فتاويه قال: «حديث علي رضي الله عنه المخرج في الصحيح لما طرقه النبي صلى الله عليه وسلم وفاطمة- وهما نائمان- فقال (ألا تصليان)؟! فقال علي: يا رسول الله إنما أنفسنا بيد الله إن شاء أن يمسكها وإن شاء أن يرسلها، فولى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يضرب بيده على فخذه وهو يقول: (وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً) هذا الحديث نص في ذم من عارض الأمر بالقدر، فإن قوله: (إنما أنفسنا بيد الله) إلى آخره. استناد إلى القدر في ترك امتثال الأمر، وهي في نفسها كلمة حق، لكن لا تصلح لمعارضة الأمر بل معارضة الأمر فيها من باب الجدل المذموم الذي قال الله فيه: (وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً). اهـ.

وقال محمد الطاهر بن عاشور – رحمه الله – في تفسيره « التحرير والتنوير »: «يريد النبي أن الأولى بعلي أن يحمد، ويشكر إيقاظ رسول الله صلى الله عليه وسلم إياه ليقوم من الليل، ويحرص على تكرار ذلك، وأن يُسرّ بما في كلام رسول الله

من ملام، ولا يستبدل به ما يحبذ من نومه، فذلك محل تعجّب رسول الله صلى الله عليه وسلم من كلام عليّ - رضي الله عنه » اهـ.

ومن أمثلة تبرير ترك السنة الآن: تبرير بعض المسلمين ترك صلاة القيام- التراويح- في رمضان بحجة تطويل الإمام، بالرغم من عدم تطويله، وجُلّ همّ بعضهم العودة سريعًا إلى بيوتهم للاعتكاف أمام التلفاز ومشاهدة البرامج الرمضانية، ولا يجدون حرجًا من الوقوف في طوابير الخبز وأنابيب الغاز بالساعات!!

ثالثا: تبرير الوقوع في الشرك صغيره وكبيره:

لقد برر المشركون شركهم بالقدر، وأن الله قد كتبه عليهم، فقال الله عنهم: « سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ » (الأنعام: ١٤٨). وقد رد الله عليهم بقوله تعالى: « كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَا » (الأنعام: ١٤٨) فلم تقبل منهم هذه الحجة، لأن الله تعالى جعل ذلك تكذيباً وجعل له عقوبة: (حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا).

ومن أمثلة تبرير الوقوع في الشرك الآن:

١- تبرير الحلف بغير الله، بالنية الصالحة، فكثير من المسلمين يحلفون بالنبي صلى الله عليه وسلم، ويحلفون بالنعمة، وبآبائهم وأبنائهم، وغير ذلك من المخلوقين، فإذا أنكر عليهم، برروا ذلك بأن النية لا تقصد الوقوع في الشرك، واستدلوا بحديث «إنما الأعمال بالنيات) (رواه البخاري).

٢- تبرير الوقوع في التشبيه المحرم في الصفات بأن النية لم تنصرف إليه، فترى البعض يعد النقود فيقول: الله واحد ما له ثانٍ، ما له ثالث وهكذا.

ويرد على الاحتجاج بالنية على الوقوع في الشرك أو المحرم بالآتي:

أ - بالمنقول: فقد تواترت الأدلة على اعتبار الحلف بغير الله شركًا لا يجوز للمسلم أن يقع فيه:

فعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن الرسول صلى الله عليه وسلم أدرك عمر بن الخطاب وهو يسير في ركب يحلف بأبيه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت» (متفق عليه).

وعن بريدة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: (من حلف بالأمانة فليس منّا» (رواه أبو داود وصححه الألباني).

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - إنه سمع رجلاً يقول: والكعبة، فقال ابن عمر: «لا يحلف بغير الله، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك» (رواه أبو داود وصححه الألباني).

وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه قال: «لئن أحلف بالله كاذبًا أحب إليّ من أن أحلف بغيره صادقا».

ومن المعلوم أن الحلف بالله كاذبًا من الكبائر، لكن الشرك أكبر من الكبائر وإن كان شركا أصغر.

فالحلف بغير الله إن اعتقد المسلم جوازه أو استحله، أو عظمه تعظيم العبادة كان شركًا أكبر، وإن كان غير ذلك فهو شرك أصغر، قال الإمام حسين بن غنام: (ومن حلف بغير الله معظمًا له تعظيم العبادة فقد أجمع أهل الإسلام على كفره، وإن لم يقصد ذلك صار كفرًا دون كفر)، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم من حلف بغير الله أن يكفر عن ذلك بقول لا إله إلا الله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من حلف منكم فقال في حلفه باللات فليقل لا إله إلا الله» (رواه مسلم).

كما تواترت الأدلة على توحيد الله في صفاته، كما يوحد في ربوبيته وألوهيته، فيثبت المسلم لله ما أثبته لنفسه بغير

تكييف ولا تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل، قال تعالى: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» (الشورى ١١)، فمن ثم لا يجوز أن يمسك المسلم بالنقود ويقول عند عد النقود: ما له ثالث، ما له رابع، فالله تعالي واحد لا يتعدد؟!!

ب - بالقياس: فقد نهى الله عز وجل الصحابة عن القول المتردد بين الحل والحرمة بالرغم من أن نيتهم لم تتجه إلى معناه المحرم، فالنهي عن القول المحرم مع عدم اتجاه النية إليه من باب أولى: فقد كان الصحابة يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم (راعنا يا رسول الله) من المراعاة أي ارعنا سمعك، وكان اليهود يقولون: (راعنا يا محمد) من الرعونة، وهي سُبَّة للنبي صلى الله عليه وسلم، فنهاهم الله عن قول راعنا مع أن نيتهم لم تتجه إلى المقصد المحرم فقال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ» (البقرة ١٠٤)

ج - يقال لمن يعترض على ما سبق هل يمكن لرجل أن يسرق أو يزني، فإن قال السرقة والزنى محرمان، فيقال له سيسرق للإنفاق على الفقراء، ويزني لإنجاب أولاد يحفظهم القرآن ويستدل على ذلك بحديث «إنما الأعمال بالنيات»، فلن يقبل هذا الاستدلال، فنقول له لم لَمْ تقبله في السرقة والزنى وقبلته في الحلف بغير الله، وتشبيه الله بمخلوقاته، وهما أعظم إثمًا منهما؟!!

رابعًا: تبرير الوقوع في الكفر:

اصطلح العلماء على أن من صرف ما يجب لله لغيره أو صرفه لله ولغيره- كالعبادات- فهو المشرك، وأن من أتى مناقضا للإيمان من اعتقادات وأقوال وأفعال حكم الشارع بأنها تناقض الإيمان، فهو الكافر. وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى في «شرح صحيح مسلم»: «الشرك والكفر قد يطلقان بمعنى واحد وقد يفرق بينهما فيخص الشرك بعبادة الأوثان وغيرها من المخلوقات مع اعترافهم بالله تعالى ككفار قريش، فيكون الكفر أعم من الشرك» اهـ.

وقد يقع المسلم في الكفر، وهو يجهله، فيعذر بجهله، ولكن لا يجوز له أن يبرره، فبعض الناس إذا وقعوا فيه برروه، فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: «قال رجل في غزوة تبوك: ما رأينا مثل قَرَّائنا هؤلاء أرغبَ بطونًا ولا أكذبَ ألسُنًا ولا أجبَنَ عند اللقاء. فقال له عوف بنُ مالك: كذبتَ، ولكنك منافقٌ، لأخبرَنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ. فذهب عوفٌ إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ ليخبرَه، فوجد القرآنَ قد سبقه، فجاء ذلك الرجلُ إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ وقد ارتحل وركب ناقتَه، فقال: يا رسولَ الله، إنَّما كنا نخوضُ ونتحدثُ حديثَ الركبِ نقطعُ به عنَّا الطريقَ. قال ابنُ عمرَ: كأني أنظرُ إليه متعلقًا بنسعة ناقة رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ، وإن الحجارةَ تنكُبُ رجليه، وهو يقولُ: إنما كنَّا نخوضُ ونلعبُ. فيقولُ له رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ: «أبالله وآياته ورسوله كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ» ما يلتفتُ إليه وما يزيدُه عليه؛ يعني رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ وأصحابَه القراءَ». (رواه ابن جرير وسنده جيد).

ومن أمثلة تبرير الوقوع في الكفر الآن: إلقاء النكات المستهزئة بالله وآياته ورسوله، ثم تبرير ذلك بأنه ليست حقيقية وإنما على سبيل المزاح، الاستهزاء بشعائر الإسلام كاللحية، والجلباب القصير للرجال، والنقاب للنساء، وتبرير ذلك بالرجعية والتخلف.

وللحديث بقية إن شاء الله،
والحمد لله رب العالمين.

البركة والسبيل إليها

الحلقة الثالثة

إعداد/ أحمد صلاح رضوان

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

القرآن العظيم كلام الله تعالى، وصفة من صفاته، كثير الخيرات، واسع البركات، كتاب مبارك محكم مهيمن، أنزله الله تعالى رحمة وشفاءً وبيانًا وهدى.

وصفه الله تعالى بالبركة في أربعة مواضع: في سورة الأنعام: «وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ» (آية: ٩٢)، وسورة الأنعام أيضًا: «وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» (آية: ١٥٥)، وسورة الأنبياء: «وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ» (آية: ٥٠)، وسورة (ص): «كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ» (آية: ٢٩)، فكل بركة وسعادة تنال في الدنيا والآخرة فسببها الاهتداء به واتباعه.

إن القرآن ربيع القلب، كما أن الغيث ربيع الأرض، وفي قوله تعالى: «أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ» (آية: ٢٦)، ربطٌ عجيبٌ بين حياة القلب وحياة الأرض الميتة، فكما أن الغيث حياة الأرض الميتة، فكذلك القرآن حياة القلوب والنفوس وسبب للبركة بكل معانيها، فلا تحل البركة إلا به.

وانظر لهذا المثل الدقيق الذي ضربه النبي صلى الله عليه وسلم لنزع البركة من الأشياء التي لم يدخلها القرآن. فقد روى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب».

وهذا تشبيه دقيق جدًا، فالبيت الخرب الذي لا يسكنه أحدٌ يكون مأوى لكل شر، مأوى الجن والشياطين، مأوى الحيوانات الضالة والشاردة، يجتمع فيه الشر كله، فكيف تحل البركة فيه إذن؟!

روى ابن المبارك رحمه الله في «الزهد» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: البيت الذي يُتلى فيه كتاب الله كثيرٌ خيره، وتحضره الملائكة، وتخرج منه الشياطين، والبيت الذي لا يُتلى فيه كتاب الله ضائقٌ بأهله، قليلٌ خيره، تحضره الشياطين، وتخرج منه الملائكة.

إذن.. الحال يُغني عن المقال!!

من جملة السور المباركة في القرآن: سورة البقرة، فهي سورة مباركة مأمور بتعلمها، فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اقرؤوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة».

قوله: «فإن أخذها» يعني المواظبة على تلاوتها والعمل بها، «بركة» أي: زيادة ونماء (وتركها حسرة) أي: تأسفٌ على ما فات من الثواب، «ولا تستطيعها البطلة»، أي: السحرة، تسمية لهم باسم فعلهم؛ لأن ما يأتون به باطل.

٩- التبرك بالمطعومات والمشروبات والمركوبات وهيئات الطعام:

ومنها: أ- أكلة السحور: في الصحيحين عن أنس

رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تسحروا؛ فإن في السحور بركة».

والبركة في السحور تحصل بجهات متعددة، وهي: اتباع السنة، ومخالفة أهل الكتاب، ففرقٌ بين صيامنا وصيامهم أكلة السحر.

ومنها: التقوي به على العبادة، وزيادة في النشاط، وملازمة الذكر والدعاء وقت مظنة الإجابة، وإدراك نية الصوم لمن غفل عنها قبل أن ينام.

ب- تمر العجوة: ففي الصحيحين عن عامر بن سعد عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من تصبّح كل يوم سبع تمرات عجوة لم يضره في ذلك اليوم سُمٌّ ولا سحرٌ».

جـ- ماء زمزم: لأنه أفضل مياه الأرض، ويُشبع من شربه، ويكفي عن الطعام، ويُستشفى بشربه مع النية الصالحة من الأسقام؛ لأنه لِما شُرب له.

وزمزم قال عنها النبي صلى الله عليه وسلم: «إنها مباركة، إنها طعام طعم». (رواه مسلم عن أبي ذر، رضي الله عنه).

وقوله: «طعام طعم»: أي: تشبع شاربها كما يشبعه الطعام.

وفي قصة أبي ذر الغفاري رضي الله عنه لما دخل مكة أقام بها شهرًا لا يتناول غير مائها، وقال: «ما كان لي طعام إلا ماءُ زمزم، فسمنتُ حتى تكسرت عُكَنُ بطني، وما أجد على كبدي سُخْفة جوع». رواه مسلم.

«حتى تكسرت عُكن بطني» يعني: انثنت من كثرة السِّمن وانطوت.

«سخفة جوع» أي: رقة الجوع وضعفه وهزاله.

وفي معجم الطبراني بإسناد صحيح، قال صلى الله عليه وسلم: «خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم، فيه طعامٌ من الطعم، وشفاءٌ من السقم».

نعم شفاء من الأمراض إذا شُرب بنية صالحة، فقد روى الترمذي عن هشام بن عروة عن أبيه أن عائشة كانت تحمل ماء زمزم، وتخبرُ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعله. وحمله رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأداوي والقِرَب، وكان يصبُّ على المرضى ويسقيهم. (رواه البيهقي وصححه الألباني).

د- زيت الزيتون: فقد روى الترمذي عن أبي أُسيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كلوا الزيت، وادهنوا به؛ فإنه من شجرة مباركة».

فزيت الزيتون يحصلُ من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار.

ثم وصفها بالبركة لكثرة منافعها، وانتفاع أهل الشام بها، ولكونها تنبت في الأرض التي بارك الله فيها للعالمين.

ويلزم من بركة هذه الشجرة بركة ثمرتها وهي الزيتون، وبركة ما يخرج منها، وهو الزيت.

هـ- بركة الخيل والغنم:

وبركة الخيل لارتباطها بالجهاد في سبيل الله والمغنم، قال الله تعالى: «وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ» (الأنفال: ٦٠)، وفي صحيح البخاري عن عروة البارقي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الخيل معقودٌ في نواصيها الخير إلى يوم القيامة». الأجر والمغنم.

وروى البخاري أيضًا عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «البركة في نواصي الخيل». والبركة هنا محصورة في وجوه الخير فقط، كما في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الخيل لثلاثة: لرجل أجرٌ، ولرجل سترٌ، وعلى رجل وزر، فأما الذي له أجرٌ فرجل ربطها في سبيل الله، فأطال لها في مَرْج أو روضة، ورجل ربطها تغنيًا وسترًا وتعففًا، ولم ينس حق الله في رقابها وظهورها، فهي له كذلك سترٌ، ورجل ربطها فخرًا ورياءً ونواءً لأهل الإسلام فهي وزرٌ».

ومعنى «أطال لها في مَرْج أو روضة» هو الحبل الذي تُربط به ويُطوَّلُ لها لترعى وتأكل.
وأما الغنم: فوجوه الخير فيها متعددة، من: اللباس والطعام والشرب وكثرة النتاج، وغير ذلك من جملة المنافع.
وفي سنن ابن ماجه عن أم هانئ رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها: «اتخذي غنمًا، فإن فيها بركة».
وروى أحمد وأبو داود أن النبي صلى الله عليه وسلم لما سُئل عن الصلاة في مرابض الغنم قال: «صلُّوا فيها، فإنها بركة».
و- الاجتماع على الطعام والتسمية ولعق الأصابع: سبقت الإشارة إليه.

كيف نكون مباركين؟

إن المسلم بعمله الصالح، وطاعته لمولاه، واتباعه لرسوله صلى الله عليه وسلم يستجلب بذلك البركة في أبهى صورها، وأزهى معانيها، فالعمل الصالح، وحسن الاتباع هما الطريق الصحيح لجلب البركة والخير.
وكل زمان ومكان يعمل فيه المسلم بطاعة الله يكون بركة على صاحبه، فالمسألة ليست بكثرة السعي في الرزق، وطول العمر، ولكن البركة فيه!
قال الله تعالى عن المسيح عليه السلام: «وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ» أي: مذكرًا بالله، داعيًا إلى سبيله.
وقال ابن عيينة: «مباركًا»: معلمًا للخير. (شرح صحيح البخاري لابن بطال).
وقال سهل التستري: «مباركًا»: آمرُ بالمعروف، وأنهى عن المنكر، وأرشد الضال، وأنصر المظلوم، وأغيث الملهوف. (تفسير القرطبي).
فالبركة إذن تعني تكاثر الخير ونماءه واستقراره، ومصدرها الذي تُلتمس منه واحد، إنه الله تعالى، فهو وحده الذي (تبارك) أي: كثرت بركاته وتزايد خيره.
والبركة هذه إن وجدت وحلت، اتسعت الأوقات، وتضاعفت الطاقات، وعمت الأرزاق ووقعت المعجزات، وإن فُقدت أو رحلت، فربما خرج الإنسان من هذه الحياة- مهما طال عمره وكثر سعيه- بلا زاد قدَّمه، ولا أثر خلَّفه.
وهذه البركة الربانية قد حلَّت على هذه الأرض قبل أن يستخلف الله الإنسان فيها، فلما خلق الأرض «بَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا» أي: جعلها مباركة قابلة للخير والبذر والغراس، لكن لا ينتفع ببركاتها إلا الذين اتقوا ربهم، وعمروها بطاعته ومرضاته، قال الله تعالى: « وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ » (الأعراف: ٩٦)، وعلى العكس من هذا فإن التغيير والتبديل والإعراض عن منهج الله تعالى سببٌ لزوال البركة وذهاب الخير، وقد قص الله تعالى علينا نبأ قوم سبأ الذين أبدلوا من بعد البركات والنماء محقًا وسحقًا بسبب إعراضهم!! فما مُلئت الأرض فسادًا ومحقا للبركة إلا بما كسبت أيدي العباد، قال تعالى: « ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ » (الروم: ٤١).
إن من الظواهر التي تثير التأمل، وتلفت النظر، تلك التي لا تقل في إبهارها وإعجازها عن كثير من الآيات الكونية الرائعة! كيف وقعت هذه الأمور على هذا النحو من الإبهار والإعجاز؟! كيف استطاع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاث وعشرين سنة فقط، ووسط ذلك المحيط الضخم من الجاهليات العمياء، أن يبني أمة عقمت أرحام الدهور أن تلد مثلها، وأن يشيد حضارة كانت سببًا في إسعاد البشرية أبد الدهر؟!
وكيف استطاعت هذه الأمة الأمية التي خرجت من قاع الصحراء بأقل جيوش أمم الأرض عددًا وعدةً، أن تسقط الإمبراطوريات العتيقة الظالمة، وأن تبسط سلطانها في أقل من ربع قرن من الزمان على المعمورة كلها، من حدود الصين إلى شواطئ الأطلسي؟!
هذه الظواهر- وأمثالها كثير- ليس لها إلا تفسير واحد: إنها البركة إذا حلت. فاللهم اجعلنا مباركين أينما كنا، واغفر لنا.

عمومية أنصار السنة.. وتجديد الثقة بالمجلس

إعداد/ رئيس التحرير/ جمال سعد حاتم

في يوم جميل مُشْرق.. حيث توافد على المركز العام لأنصار السنة المحمدية وفودُ أنصار السنة من أنحاء جمهورية مصر العربية، ممثلين لفروع أنصار السنة في مصر لتخرس كلمتُهم الألسنةَ التي دبرت بليل للنَّيْل من هذه الجماعة، ومن منهجها، ولكن الله سبحانه حافظ دينه.

جاءوا ليؤكدوا تمسكهم بانتمائهم، وتأييدهم لقياداتهم من مشايخ الجماعة وعلمائها الذين أكدوا وبكل قوة تجديد الثقة لمشايخ الجماعة الممثلين لهم في مجلس إدارة المركز العام، ودائمًا تأتي المِنَح من المِحَن، والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

ففي يوم السبت ٢٤ جمادى الآخرة الموافق ١٢ أبريل ٢٠١٦م، توافد المئات من أنصار السنة إلى المركز العام؛ ممثلين لفروعهم من رؤساء وفروع وأعضاء مجالس إدارة، جاءوا ليعلنوا عن وقفتهم خلف المركز العام ومجلس إدارته بعد الحملة الشرسة التي استهدفت أنصار السنة في المركز العام والفروع في الآونة الأخيرة ، هؤلاء المئات من أنصار السنة من جميع أنحاء مصر، جاءوا بشكل لم يسبق له مثيل، أبناء بررة لهذا الوطن مصر الغالية، معلنين عن رفضهم لكل وسائل التدليس والتشويه التي حاول المدلسون تلبيسها بأنصار السنة وأعضائها ومن ينتمي إليها في أنحاء مصر.

في يوم حافل جاءت الفروع إلى المركز العام مؤيدة لمجلس إدارة المركز العام، ومعلنين عن وقفة جادة متجددة لأبناء أنصار السنة في مصر الذين أكدوا على تجديد الثقة بالمجلس.

وكانت الجمعية العمومية العادية قد انعقدت لمناقشة الميزانية وإقرارها ، واختيار مراقب الحسابات، ولكن مجلس الإدارة قد عرض نفسه على الجمعية لتجديد الثقة في المجلس، وفوجئ المجلس بأن أعضاء الجمعية قد أعدوا مذكرة بالتوقيعات لتجديد الثقة بمجلس الإدارة، ثم التصويت بالإجماع من الحاضرين لتجديد الثقة بالمجلس ورئيسه الدكتور عبد الله شاكر.

وفي كلمته التي ألقاها الرئيس العام قال: «إن منهج الجمعية قائم على التمسك بالكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، بعيدًا عن التحزبات السياسية، والمناهج البدعية المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة، ثم اختتم كلمته بالدعاء للبلاد والعباد أن يحفظهم الله من كل مكروه وسوء».

وفي الكلمة التي ألقاها نائب الرئيس العام، المشرف العام على مجلة التوحيد أكَّد الدكتور عبد العظيم بدوي على أهمية الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والتراحم والتناصح فيما بيننا، والتمسك بالأخلاق الحسنة؛ حيث إن ديننا ما جاء إلا لبيان مكارم الأخلاق.

ثم اختتم كلمته بالدعاء للمسلمين عامة ولأولياء الأمر خاصة، وأن يحفظ الله بلادنا من كل مكروه وسوء.

ثم تحدث الأمين العامة للجمعية عن تقرير المجلس عن العام الماضي، شارحًا إنجازات المجلس، وسعيه الدءوب لتحقيق المزيد من الإنجازات.

حفظ الله مصر آمنة مطمئنة، ورد الله كيد أعدائها في نحورهم، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

بشرى سارة
معرض مجلدات مجلة التوحيد
مفاجأة كبرى
موسوعة مجلة التوحيد (كرتونة المجلدات ٤٤ سنة كاملة بـ٥٠٠ جنيهاً بدلاً من ٨٥٠ جنيهاً)
مفاجأة:
اشتراك سنة مجانًا بمجلة التوحيد لمن يشتري الموسوعة.
الكمية محدودة والعرض سارٍ حتى نفاد الكمية.
مفاجأة:
يمكنك الدفع عند الاستلام عن طريق مكتب الشحن.
ويمكنك الشراء وإرسال الكرتونة على عنوانك عن طريق مكتب الشحن.
٤٤ مجلداً
٤٤ عاماً
المعرض مفتوح يوميًا بالدور السابع بالمجلة
للاستفسار يرجى الاتصال بقسم الاشتراكات بمجلة التوحيد: 23936517
صدر حديثاً المجلد الجديد لعام ١٤٣٦ هـ